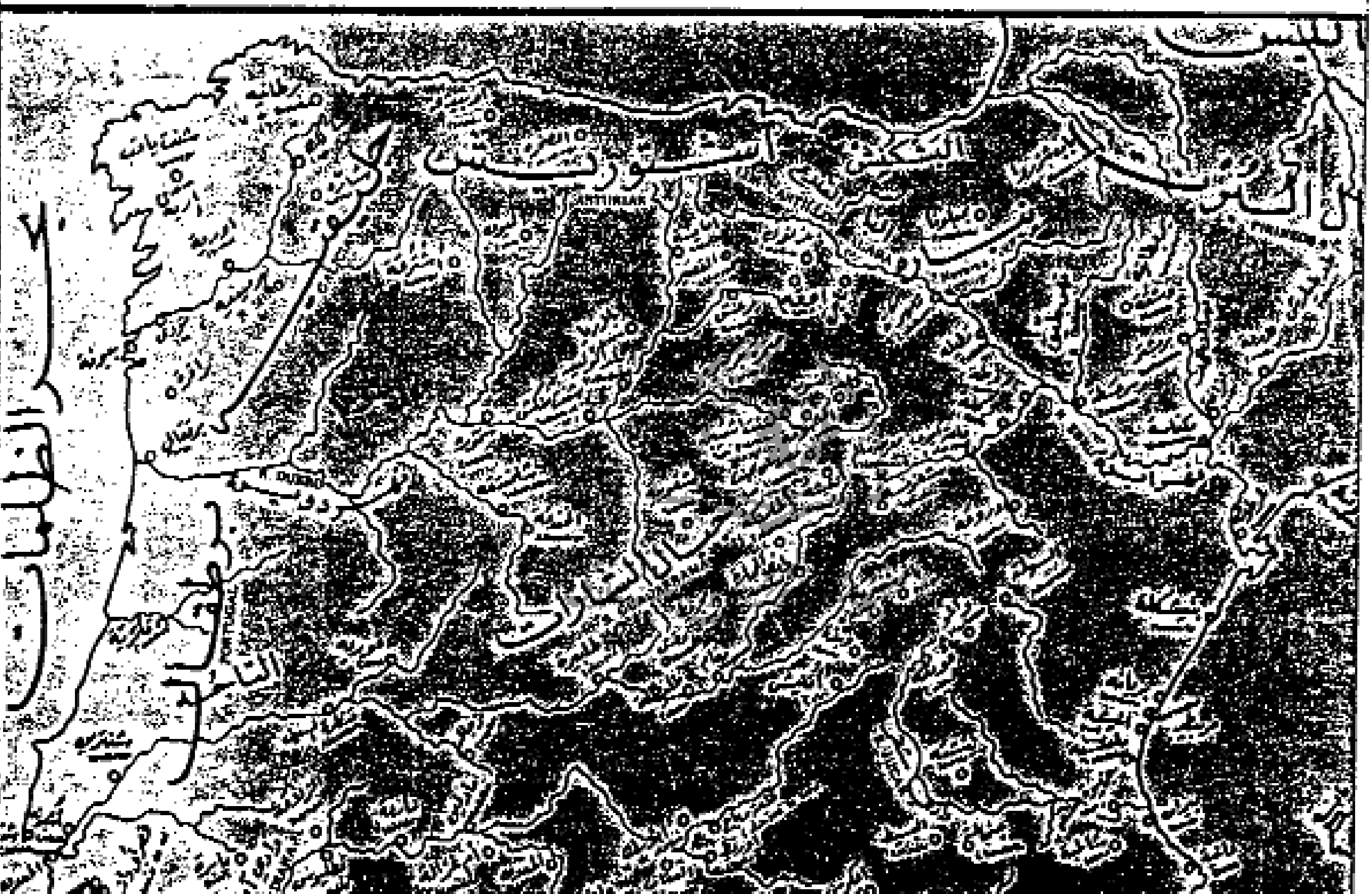
دراسات أندلسية



جمادى I - II / 1411 العدد 5 ديسمبر — جانفي 1 — 1990

مجلّـة دراسـات أندلسيّــة

مجلّة علميّة مختصّة في الدّراسات المتعلّقة بإسبانيا الإسلاميّة

* * * * *

تصدر المجلّة مرّتين كلّ سنة في جانفي وجوان .

ثمن الاشتراك السّنوي :

بتونس : 8،000 د.ت .

بالبلدان العربيّة : 12 دولارا .

بقيّة البلدان : 16 دولارا .

تسدّد قيمة الاشتراك عن طريق حوّالة بريديّة في الحساب الجاري 94 ـــ 543 تونس أو بواسطة حوّالة بنكيّة (وفي هذه الحالة يكون مقابل التحويل البنكي على حساب المشترك) .

توّجه المراسلات بأسم مدير المجلّة إلى العنوان التالي : **د. جمعة شيخة** .

ص. ب. رقم 51 ـــ 1008 تونس ـــ باب منارة ـــ الجمهورية التونسيّة ـــ تليفون : 227.616 .

لا تلتزم المجلّة بما ينشر فيها من آراء ولا تّرد الفصول المخطوطة إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .

ـــ يرجى من المؤلّفين أن يرفقوا مقالاتهم بملخّص بالعربيّة أو الفرنسيّة .

مجلــــة
دراسات أندلسية

العدد الخامس

1411 / 1 — 1990

تونـــس

طبع بمطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار
(3200 نسخة)

الفهـــرس

تصـــدير

تنعقد حول الأندلس خلال هذا الشهر ثلاث ندوات فكريّة: الأولى في دمشق بسوريا، والثّانية بتطوان بالمغرب والثّالثة بمرفأ سان كارلوس دي لارابطا بإسبانيا. ولئن تركّزت النّدوتان الأولى والثّانية على بعض مظاهر العطاء الفكري والحضاري للأندلس، فإنّ النّدوة الثّالثة خُصّصت لدراسة قضيّة من عرفوا بالموريسكيّين: وهم بقايا الأمّة الأندلسيّة التي عاشت تحت النّفوذ النّصراني بعد سقوط غرناطة آخر معقل للعرب بالجزيرة سنة 897 /1492.

وهكذا يكون قد مرّ على سقوط هذه المدينة الكبرى الإسلاميّة في سنة 1992 خمسمائة سنة. وسيُحيي الإسبان هذه الذّكرى التي تزامنت مع اكتشاف كريستوف كولمب للقارة الأمريكيّة. ولم يترقّب الإسبان هذا الموعد، بل بادروا منذ بضع سنوات بعقد ندوات فكريّة تمهيدا لهذا الحدث المزدوج الذي سيتوّج بمعرض إشبيلية 1992 تحت شعار «الاحتفال بمرور 500 سنة على اكتشاف كريستوف كولمب لأمريكا». فهل أرادوا بهذا الشّعار أن يتجنّبوا إثارة مشاعر العرب والمسلمين في هذا الظرف العصيب ؟

إنّ إسبانيا ليست بمفردها وريثة الحضارة الأندلسيّة، فبلادنا تعتبر من البلدان العربيّة المتميّزة في هذا الميدان. لقد استقبلت منذ قرون وبصدر رحب من أطردوا من ديارهم، وفسحت المجال لمن التجؤوا من أوطانهم ليصبحوا جزءا لا يتجزّأ من أبنائها، فساعدت بذلك شعبا أريدت تصفيته مادّيا وروحيّا وحضاريّا على البقاء، ومكّنته لا فقط من المحافظة على تراثه بل وفّرت له الجوّ الملائم لإبراز طاقاته وإبداعاته ومواهبه في مجالات من الحياة شتّى: فنّا ومعمارًا وفكرا. ولم تغفر لنا إسبانيا الكاثوليكيّة جرأتنا وتحدّينا لها وهي القوّة التي يقرأ لها ألف حساب في ذلك العصر.

تلك أخلاقنا قديما وهي مقوّم من مقوّمات مبادئنا حديثا، نُضمّد جراح كلّ أخ لنا منكوب، ونقف مع كلّ مهدّد مقهور. نقول كلمة الحقّ ولا نخشى في الله لومة لائم، ولا نحسب للمنافع الآجلة أو العاجلة حسابا وإن لحقنا الضّرر، ولا نرضى لأخلاقنا ومبادئنا بديلا ولا تغييرًا وإنْ مسّنا الضّيم.

وبهذه الأخلاق ووفقا لتلك المبادىء سنشارك كباحثين في معرض إشبيليّة 92. ومجلّة «دراسات أندلسيّة» تطمح أن تجسّم فعلا تلك المبادىء عندما طرحت على من يهمّهم الأمر فكرة إصدار عدد ممتاز بهذه المناسبة لطرق محورين رئيسيين :

ـ التّسامح الدينّي في الأندلس عبر العصور .

ـ أوجه عظمة الحضارة العربيّة الإسلاميّة بالجزيرة الإيبيريّة ومساهمتها في الحضارة الإنسانيّة.

إنّنا نقترح ونبلّغ، ونمدّ يد التّعاون المثمر النّزيه لأنّنا سمعنا فوعينا وقرأنا فأدركنا أنّ «إشعاعنا الثّقافي رهين قدرتنا على نحت ثقافة وطنيّة متميّزة تنهل من أصولنا العربيّة الإسلامية، وتضمن توفير حضور نوعي بين الثّقافات. ورهين رسمنا لسبل التّعاون الثّقافي ومعالمه دعما لسنة الحوار بين الثّقافات». (من خطاب الرّئيس بن علي في يوم الثّقافة 28/ 10/ 1990).

د. جمعة شيخة

نقد النصّ الشعري بين ابن حزم

وابن بسّام

بقلم د. منجد مصطفى بهجت
كلّية الآداب ـــ جامعة الموصل

المقدّمة :

يقدّم البحث تصوّرًا متواضعا عن موقف ناقدين بارزين من نقّاد الأندلس يمثّلان خلاصة الموقف النّقدي في القرن 5 /11، أوّلهما ابن حزم الأندلسي (ت 456 /1064) صاحب المؤلّفات المشهورة والثّقافة المتنوّعة، وثانيهما ابن بسّام الشنتريني (ت 542 /1147) صاحب أكبر موسوعة أدبيّة تناولت القرن 5 /11، على الرّغم من كثرة النقّاد الأندلسيّين الذين قدّموا آراءهم النظريّة، ومارسوا النّقد التّطبيقي. فمن هؤلاء من وقف عند النّص الأدبي واستعرض آراءه فيه كابن خاقان في كتابيه القلائد والمطمح، وابن خفاجة في مقدّمة ديوانه، والسّرقسطي في مقاماته، وهناك من أفرد كتابا تناول فيه النصّ الأدبي كابن عبد الغفور الكلاعي في كتابه «إحكام صنعة الكلام» والقاضي عياض في كتابه «بغية الرّائد».

وقد أشار الدّكتور مصطفى الزّبّاخ[1] إلى هذين المستويين اللّذين تجلّى فيهما الدّرس النّقدي، وقسّم مظاهره إلى مرحلتين هما: مرحلة التّأسيس، التي تمثّلت في التماعات نقديّة عابرة كوّنت بداية الإحساس بالوعي النّقدي الأندلسي، وذلك في كتابات ابن عبد ربّه وابن شهيد وابن حزم.

---

(1) مصطفى الزّبّاخ : فنون النّثر الأدبي بالأندلس في ظلّ المرابطين ط. بيروت 1987 ص 83 .

وأمّا المرحلة الثانية فهي البناء حيث يتمّ التوفيق بين المفاهيم النّظريّة والنّماذج التطبيقيّة، ويرتفع النّقد إلى مستوى المشكلات الكبرى، التي برزت في النّقد المشرقي. ويمثّل هذا التيّار أبو القاسم بن عبد الغفور الكلاعي (ت 550 / 1155)، وكذلك ابن بسّام الشنتريني وذلك في دراساتهما النّقديّة الواسعة.

وإذا كان الدّكتور الزّبّاخ يجعل ابن حزم في مرحلة تمثّل مستوى التّأسيس وابن بسّام في مرحلة تمثّل البناء، فإنّنا نستطيع أن نقرن بينهما لأوجه الشّبه التي تجمعهما مع وجود بعض الفوارق، فهما يمثلان عصرًا واحدًا، هو عصر النّضج الثّقافي بالأندلس. والنّقد الأدبي جزء لا ينفصل عن الثّقافة، ممثّلة في الحركة الأدبيّة بشبه الجزيرة الإيبيريّة. وقد نظر كلاهما نظرة نقديّة مشابهة للآخر، نظرة مشوبة بكثير من الحيطة والحذر في قبول الشّعر، وتحكيم الفكرة فيه، دون أن يطلقا العنان للنظرة الفنيّة الخالصة التي تغمط أهميّة المضمون.

وقد تبنّى كلاهما موقفا واحدًا تجلّى في مظاهر كثيرة، وذلك الموقف هو الدّفاع عن التّراث الأندلسي عامّة، نجد ذلك في رسالة في فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم، كما نجدها في مقدّمة الذّخيرة لابن بسّام. فقد تفاعل كلاهما مع أحداث عصره، كانت همومهما واحدة، وكان حرصهما على بقاء الثّغر الأندلسي وثباته أمام العدوّ مشتركًا، مع غلوّ في الطّبع وحدّة في المزاج، في النظرة إلى الأحداث الجسيمة التي تجري حولهما.

وقد نهجا في مؤلّفاتهما نهجا متشابها، بحيث لا نجد كتابا لأحدهما مختصّا في النّقد، بل ترد آراؤهما النّقديّة مبثوثة بشكل عرضي واستطرادي[2] في هذا لكتاب أو ذاك.

ومن الدارسين من قرن ابن حزم بناقد آخر هو ابن شهيد وعدّهما أعظم اثنين تمرّسا بالنقد في القرن 5 /11. وربما ضلّا أعظم من تلقاهما في تاريخ النّقد هنالك[3] .

وابن بسّام ليس بعيدًا عن النّاقدين المذكورين فهو يمثّل التيّار النّقدي النّاضج في القرن 5 /11 كذلك، على الرّغم من أنّ عددًا من الباحثين درسه في إطار نقاد القرن 6 /12[4] ، وذلك لأنّ كتاب الذخيرة هو ثمرة حقيقية للقرن 5 /11 من حيث تاريخ تأليفه، أو من حيث موضوعاته التي كرّسها لدراسة أدباء القرن 5 /11 .

---

(2) أشار ابن حزم إلى منهجه هذا في مواطن كثيرة في الطّوق، وأشار ابن بسّام إلى ذلك في الذّخيرة .

(3) إحسان عبّاس : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب : نقد الشعر في القرن 2 /8 حتّى القرن 8 /14 ط. بيروت 1978 ص 475 .

(4) المرجع السابق ص 501 ، وكذلك د. محمد عبد المطلب مصطفى: اتّجاهات النّقد خلال القرنين 6 /12 و7 /13 ط 1، دار الأندلس 1984 ص 22 .

ولم يكن الدّفاع عن الأندلس هو الأمر الوحيد الذي يجمع بين النّاقدين، بل إن الموقف النّقدي كان متشابها بينهما، منبثقًا من النّظرة الخلقيّة في الحكم النّقدي، إلّا أنّنا لا يمكن أن نغفل جملة من الفروق بينهما، لعل في مقدّمتهـا، وضوح النّظريّة النّقديّة القائمة على أساس خُلُقيّ عند ابن حزم، وتواري الجانب التطبيقي وقلقه عنده، والأمر مباين عند ابن بسّام فيهما، على نحو ما سيتضح من الدّراسة التفصيلية، التي ستتوقّف عند تعريف موجز بالأديبين وعرض للنظّريّة النّقديّة عند ابن حزم ثم الجانب التطبيقيّ لنظريّته، وبعدها سنتوقف عند نظرية ابن بسّام النّقدية في أبرز سماتها، وينتقل البحث إلى دراسة الجانب التطبيقي فيها. كل ذلك فيما يتعلّق بالنصّ الشعريّ .

ولا بدّ أن أُشير إلى ثلاث دراسات حديثة تناولت هذا الموضوع، بشكل غير مباشر، ضمن دراسات علميّة متخصّصة، الأولى: ما كتبته الباحثة نزهة جعفر[5] بعنوان «ابن بسّام الشنتريني دراسة أدبيّة تاريخيّة» توقّفت في الفصل الرّابع عند المنهج النقّدي في كتاب الذّخيرة، حيث جعلت خصائص منهج ابن بسام النقدي، ممثلة في مواقفه من جملة قضايا، عرض لها في الذّخيرة، لكن بحثنا سلك طريقًا آخر بتحديد أبعاد النّقد النّظري ثم التطبيقيّ فيما بعد .

والثّانية، دراسة الدّكتور حسين خريوش[6] : «ابن بسام وكتابه الذخيرة» أفردَ الفصل الثّالث لدراسة النقد عند ابن بسام، وتوقف عند النزعة الخلقية، وأنواع البديع، والسرقة الأدبية.

والثالثة : دراسة الدكتور مصطفى عليان[7] ، «تيّارات النّقد الأدبيّ في الأندلس» في القرن 5 /11. وهي من الدّراسات الشّاملة للنّقد الأدبيّ، وفيها إشارات قيّمة إلى النّقد عند ابن حزم وابن بسّام، وقد حاولت أن استفيد منها في مواضع كثيرة، استفادتي من الدّراستين المذكورتين آنفا .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تناولت الموضوع ــ في بعض جوانبه ــ فقد كنت أشعر أن الذي كتب عن الذخيرة ، كتب وهو مخطوط ، وأن الإفادة منه مطبوعًا، أكبر،

(5) مدرسة في كليّة التربية بجامعة الموصل، وبحثها هو رسالتها للماجستير ــ جامعة بغداد 1975 . (وهو بحث مرقون لم يطبع) .

(6) أستاذ مساعد في كليّة الآداب بجامعة اليرموك. والبحث هو رسالة دكتوراه من جامعة الإسكندريّة 1982 ط. بعمّان 1989 .

(7) أستاذ مساعد في كليّة اللّغة العربية بجامعة أمّ القرى، والبحث رسالته للدّكتوراه بجامعة الأزهر، القاهرة 1978. طبع بيروت 1984 .

وأن الدّراسات التي كتبت عن ابن حزم ناقدًا لم تفِ بحقّه، وكانت أوجه الشّبه بين النّاقدين كثيرة، فقرنت بينهما في هذه الدّراسة، والحديث عن ابن حزم ليس كالحديث عن ابن بسّام، لأنّ الأخير أستاذ في مجال النقد التّطبيقي في كتابه الموسوعي، الذّخيرة. *

حياتهما وسيرتهما :

أول النّاقدين هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الملقب بالقرطبي، من أشهر أعلام الثّقافة في الأندلس شارك في ميادين التأليف والتصنيف حتّى بلغت آثاره نحو أربعمائة مصنف في ميادين المعرفة كافة وأبرزها الأدب، ولد سنة 384 /994 في أسرة عريقة في الإسلام نبغ منها عدد كبير، ونشأ نشأة مترفة في ظلال القصور، وطلب العلم مبكرًا حيث اعتاد مجالس العلماء والفقهاء، وتركت الفتنة القرطبيّة آثارها في نفسه شارك في الأحداث السياسيّة في عصره وتفاعل معها حتّى دخل السّجن،ثم انصرف بعدها إلى التأليف ومناظرة العلماء.توفي ابن حزم سنة 456 /1064.

وقد وقفت دراسات كثيرة قديمة وحديثة لاستجلاء ثقافة هذا الأديب والكشف عن عناصر الإبداع لديه، ولكن الجانب النقديّ في تلك الدّراسات ظلّ خافتًا.(8)

أما أبو الحسن علي بن بسّام التّغلبي الشنتريني فلا نكاد نعرف عنه إلا اليسير، إذ لم تتوقف عنده المصادر القديمة أو الحديثة إلا بشذرات يسيرة فاتخذ بعض المحدثين من عصره مادة لتصورّه، ومن بيئته مجهرًا لتبيّنه، ومن فكره شاهدا على خطاه، وبشيء من التأمل والاستيطان والمقارنة بنى له حياة وتاريخا وسيرة هي شمعة مضيئة تطرد عنه الظلام(9) .

انتسب ابن بسام إلى مدينة شنترين التي تقع على الشّاطىء الأيمن من نهر تاجه. وبينها وبين أشبونة ثمانون ميلًا. وقد ظلت من مراكز الحضارة حتّى سنة 486 /1093 حيث

* لا ندري لماذا نسي أو تناسى كاتب المقال كتاب د. محمّد رضوان الدّاية: النّقد الأدبي في الأندلس ط. بيروت 1968. انظر تقديما لهذا الكتاب للدكتور محمود طرشونة بحوليات الجامعة التونسية عدد 10 /1973 ص 257 (هيئة التحرير)

(8) أشار د. الطّاهر أحمد مكّي إلى الدّراسة الواسعة التي كتبها المستشرق الإسباني فيجيل أسين بلاثيوس. وقد قام بترجمتها وهي في طريقها إلى الطبع. انظر كذلك كتاب: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة لد. الطّاهر أحمد مكّي ط. القاهرة 1977 ص 8.

(9) الطّاهر أحمد مكّي : دراسة في مصادر الأدب ط . مصر 1977 ص 235.

سقطت بيد الفونسو السادس ثمّ استردّها المرابطون عام 504 /1110. وبقيت في حوزتهم حتّى 543 /1148 أي بعد وفاة ابن بسام بنحو عام. ولا ينتسب إلى شنترين إلّا عدد يسير من الأدباء ترجم لاثنين منهم ابن بسام في ذخيرته.

ونعلم من حديثه أنه كان من أسرة ذات مكانة وحصانة في عصرها بحيث جعلته يترفّع عن التكسّب بالشّعر والمسألة به، ولكنّه خضع لما خضع له أبناء عصره من الأزمات والظروف القاهرة، وقد أشار إليها. ويبدو أنّ كتابه هو الوحيد الذي وصل إلينا، وقد تتبعت الباحثة نزهة جعفر أبرز الأحداث في حياته حتى وفاته 542 /1147[10].

وفيما يتصل بدراستنا النقدية عنه، نجد من المناسب أن نشير إلى مصدر ثقافته النّقدية اعتمادًا على ما ورد من مصادر نقدية في كتابه الذخيرة، وقد أوقفنا على مصادره الدكتور محمود عبد الله الجادر، حيث ترد إشارات إلى كتب ينقل منها مباشرة، وأحيانًا يشير إليها فقط، ومنها كتب ابن رشيق القيرواني: العمدة والأنموذج، وقراضة الذهب، وأعلام الكلام وأبكار الأفكار لابن شرف، وللصاحب بن عباد الكشف عن مساوىء شعر المتنبي، وكتاب الحميري، البديع في وصف الربيع، وحماسة أبي تمام وأخبار أبي تمّام للصولي[11].

النظرية النقدية عند ابن حزم:

نقد وصف الدكتور خليفة ابن حزم بأنّه ناقد حرّ له انطباعاته الذاتيّة في تقويم الأعمال الأدبيّة[12]، فكيف السبيل إلى التّعرف عليه ناقدًا؟

من المشكلات التي تواجه الباحث، وهو يتتبع آراء ابن حزم النّقديّة، أنّه لا يقف عليها في كتاب واحد أو رسالة واحدة. فلم يكن ناقدًا متخصّصًا كي يترك كتابا يعبّر عن موقفه النقديّ، بل كان غزير النتاج متنوّع المعارف موسوعيّ الثّقافة. وقد استطعنا أن نتعرّف على آرائه النّقديّة في مؤلفاته الأدبيّة ورسائله ومنها رسالته في مراتب العلوم والتلخيص لوجوه التخليص والتّقريب لحدّ المنطق.

---

(10) نزهة جعفر الموسوي: ابن بسّام الشنتريني ص 24. انظر كذلك د. حسين خريوش: ابن بسّام وكتابه الذّخيرة ص 27.

(11) مصادر ابن بسّام في الذّخيرة: مجلّة المورد 13 /4. بغداد 1984.

(12) د. عبد الكريم خليفة: ابن حزم الأندلسي: حياته وأدبه ط. الدار العربية ـ بيروت بدون تاريخ.

على الرّغم من أنّ الفارق كبير بين فيلسوف مثل أفلاطون وعالم إسلاميّ مثل ابن حزم، فإنّ بين الرّجلين تشابهًا وتماثلًا ـــ إلى حد ما ـــ في نظريتهما إلى أهمية الشعر ودوره في الحياة... فقد وضع أفلاطون إكليل الغار على رؤوس الشعراء، ولم يبال حين طردهم من جمهوريته، لأنهم لم يخضعوا لفلسفته ومدينته المثالية(13)، أي إنّ الشّعر ـــ في حدّ ذاته ـــ ذو قيمة كبيرة لكن تسخيره للأهداف الخلقية التي سعى إليها أفلاطون هو الذي يحدد موقفه من الشّعراء.

لقد نظر ابن حزم إلى الشّعر نظرة إجلال وإكبار، وقد أدرجه ـــ ضمن منهجه التّربوي ـــ واحدًا من العلوم النّظريّة الأحد عشر، وكان الثّاني فيها. يحدثنا عن نظرته العامّة للعلوم في رسالته في مراتب العلوم، فيذكر أهميّة علم النحو واللّغة أولًا، وانتهى إلى دعوته بالاقتصار على المقدار الجاري منها، ثم جعل الشّعر مكملًا لعلمي اللّغة والنّحو، حيث يقول: «وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشّعر، فلا يكن إلّا من الأشعار التي فيها الحكم، والخير كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم، وكشعر صالح بن عبد القدّوس ونحو ذلك فإنها نعم العون على تنبيه النفس»(14).

فرواية الشّعر تأتي في خدمة النّحو واللّغة أي أنّها مصدر من مصادر توضيح الحكم النحوي واللّغوي، وهو بذلك ينفي أن يكون الشّعر ذا هدف خاص به بل يأتي وسيلة يستعين بها النّحوي واللّغوي في استنباط الأحكام النحويّة واللّغويّة، وهذا الشّعر ينبغي أن يكون بعيدًا عن أربعة أضرب هي:

1 ـــ أشعار الإغزال والتّرقيق، التي تحثّ على الصّبابة وتدعو الى الفتنة وتصرف النّفس إلى الخلاعة، وتسهل الانهماك في العشق، وربما أدّت إلى افساد الدّين، وتبذير المال، وذهاب المروءة، وتضييع الواجبات، كما تسهّل الفسوق وتهون المعاصي، لا سيّما ما كان يعنى بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة.

2 ـــ الأشعار المقولة في التّصعلك وذكر الحروب كشعر عنترة، وعروة بن الورد، وسعد ابن ناشب، فهي تثير النّفوس وتهيّج الطبيعة وتسهّل موارد التلف. وربما أدت إلى هلاك النّفس في غير حقّ مع إثارة الفتن، والشره على الظّلم وسفك الدّماء.

(13) رسائل ابن حزم. تحقيق د. إحسان عبّاس ج 1 ـــ 2 ط 1 المؤسّسة العربية 1980 ـــ 1981 ص 65.

(14) شوقي ضيف : في النّقد الأدبي ، دار المعارف بمصر 1962 .

3 ــ أشعار التغرّب وصفات المفاوز والبيد والمهامه، فإنّها تسهّل التحول والتغرّب وتنشب المرء فيما ربما صعب عليه التخلّص منه بلا معنى .

4 ــ الهجاء وهو أفسد الضروب لطالبه، يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآباء والأمّهات. وفي هذا حلول للدّمار في الدّنيا والآخرة .

ثم صنفان من الشّعر، لا ينهى عنهما نهيًا تامًّا ولا يحضّ عليهما بل هما من المباح المكروه، وهما المدح والرثاء لأن فيهما ذكر فضائل الميّت والممدوح، ولأنّ أكثر ما فيهما كذب، ولا خير في الكذب[15] ، وينهي كلامه مؤكّدًا بأنّ الإكثار من رواية الشّعر كسب غير محمود لأنّه من طريق الباطل والفضول لا من طريق الحقّ والفضائل[16] .

وتأتي نظرة ابن حزم في تحديد موقف الشّريعة الإسلاميّة، من وجهة نظره في رسالته التلخيص لوجوه التخليص، حيث يجيب سائلًا عن طلب العلم وهل الآداب من العلم؟ فيحدثه عن الشّعر مقرونًا بالنّحو واللّغة، كما فعل في رسالته السّابقة، ثم يجعل العلم به على ثلاثة أقسام :

1 ــ أن لا يكون للإنسان علم غيره فهذا حرام .

2 ــ الاستكثار منه ، غير محبّذ وليس بحرام ولا يأثم المستكثر منه إذا ضرب في علم دينه بنصيب .

3 ــ الأخذ منه بنصيب، فهذا يحبّه ويحضّ عليه .

ويعود ثانية إلى موضوعات الشّعر الجيدة والرديئة فيقول: «أمّا من قال الشّعر في الحكمة والزّهد فقد أحسن وأجر، وأما من قال معاتبًا لصديقه مراسلًا له وراثيًا من مات من إخوانه بما ليس باطلًا، ومادحًا لمن استحقّ الحمد فليس بآثم، ولا يكره ذلك، وأما من قال هاجيًا لمسلم ومادحًا بالكذب ومشببًا بحرم المسلمين فهو فاسق»[17] .

ونتعرف على رأيه في الشّعر في موضع ثالث من مصنّفاته (التّقريب لحد المنطق). عند حديثه عن كتاب الشّعر يتوقّف عند قضية جوهرية تعد من الأسس التي يقوم عليها الشعر

(15) رسائل ابن حزم ص 65 ــ 67 .

(16) رسائل ابن حزم ص 67 .

(17) الرّد على ابن النّغريلة اليهودي ورسائل أخرى. تحقيق إحسان عبّاس دار العروبة ــ القاهرة 1960 .

(قضيّة الصدق والكذب) فيقول: (هذه صناعة قال فيها بعض الحكماء: كلّ شيء يزيّنه الصّدق إلا السّاعي والشّاعر، فإنّ الصّدق يشينهما فحسبك بما تسمع. وقال المتقدمون: الشّعر كذب ولهذا منعه الله نبيّه ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ وما علمناه الشّعر وما ينبغي له ﴾ (69 يس 26) وأخبر الله تعالى ﴿ أنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ . ونهى النّبي ﷺ عن الإكثار منه وإنما ذلك لأنه كذب إلّا ما خرج عن حدّ الشعر فجاء مجيء الحكم والمواعظ ومدح النبي ﷺ»[18] .

ويأتي بأمثلة على الشعر الذي فيه الصدق المحض في بيتين من الشعر ويرى أنّه يدخل في باب السخريّة والمضاحك، ويقابله الضّرب الثّاني الذي يقوم على الكذب والإغراق ويسوق عليه أبياتًا أربعة يرى أنّ قائله قد دخل في باب الحمق والملاحة.

فالشعر عند ابن حزم ضربان : ضرب يوافق طبيعة الشعر، وهو الذي فيه إغراق وكذب ويدخل في وصف الله تعالى ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾، وضرب ثان لا يوافقه حين يجيء حكمًا ومواعظ ومدحًا للنبي ﷺ ، لأنّه يقوم على أساس الصّدق .

وواضح أنّ مفهوم الكذب عند ابن حزم مقرون بالنّاحيّة الخلقية، وهو بذلك يغفل ضربًا من الكذب الفنّي يقوم على أساس المجاز والاستعارة. وقد جاء عليه أكثر كلام العرب وشعرهم البليغ، ويمكن أن يدخل هذا النوع في ضربين للشّعر ذكرهما ابن حزم فيما بعد، هما الصناعة والبراعة، وقد اتّضحت هذه الحقيقة لدى عبد القاهر الجرجاني (471 /1078) في كتابه أسرار البلاغة[19] .

وواضح أنّ موقف ابن حزم من الشعر ينطوي على نظرة فيها نوع من الاستهجان والذمّ لا سيما أنّه يقوم على أساس من الكذب، ويستدرك قبل أن يظن به القارىء الظنون ويفسر الموقف على أنه جهل بحقيقة الشّعر فيقول «ولا يظن ظان أن هذا علم جهلناه فذممناه، فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسعنا في رواية الأشعار، وكيف تمكّنا من الإشراف على معانيها، وكيف وقوفنا على أفانين الشعر ومحاسنه، ومعانيه وأقسامه، وكيف وقوفنا على صناعته، وكيف تأتي مقصّده ومقطوعه لنا، وكيف سهولة نظمه علينا في الإطالة فيه والتقصير، ولكن الحق أولى بما قيل»[20].

---

(18) التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العاميّة والأمثلة الفقهيّة تحقيق د. إحسان عبّاس ط. دار مكتبة الحياة . بيروت 1959 ص 6 ــ 207 .

(19) تاريخ النقد الأدبي ص 425 .

(20) رسائل ابن حزم ص 67 ، 80 .

وفي حديثه عن مقدمات العلوم الظاهرة يؤكد لنا ما ذكره من إلمامه بالشعر «وأما علم الشعر فإلى ما نسمع أيضًا من استعمالهم في الأوزان خاصة دون كل وزن يستعمل عند غيرهم، إذ إنما يسمّي الناس شعرا ما ضمّته الأعاريض فقط التي ذكر النديم في كتابه، وأما في مستحسنه ومستقبحه فإلى أشياء اصطلح عليها أهل الإكثار من روايته والإكباب على تفتيش معانيه من لفظ عذب سهل ومعنى جامع للحسن وإصابة تشبيه وكناية مليحة ونظم بديع»[21] .

وممّا يستدل به على معرفته بالشعر اطلاعه على مصادر نقده، حيث ينبه من أراد التمهر في أقسام الشّعر ومختاره، وأفانين التّصرف في محاسنه إلى مراجعة كتاب قدامة بن جعفر في نقد الشعر وكتب أبي علي الحاتمي إذ هي أفضل ما ألف في هذا المجال مع إقراره بأنّ ملكة الشّعر لا تكتسب، ولكنّها تُقوّى بالتوسع في الأشعار وتدبرها[22] .

وفضلًا عما ذكرناه من آراء تدل على معرفة ابن حزم بالشّعر ونقده، فإنّه يطلع علينا بتقسيم ثلاثي للشعر فهو عنده صناعة وطباعة وبراعة:

فالصّناعة هي التأليف الجامع للاستعارة بالأشياء، والتحليق على المعاني والكناية عنه، وربُّ هذا الباب من المتقدّمين (زهير بن أبي سلمى) ومن المحدثين (حبيب بن أوس) .

والطبع هو ما لم يقع فيه تكلف، وكان لفظه عاميًا لا فضل فيه من معناه حتى لو أردت التعبير عن ذلك المعنى بمنثور لم تأت بأسهل منه ولا أوجز من ذلك اللفظ، وربّ هذا الباب من المتقدمين (جرير) ومن المحدثين (الحسن) .

والبراعة هي التصرف في دقيق المعاني وبعيدها والإكثار فيما لا عهد للناس بالقول فيه وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف، ورب هذا الباب من المتقدمين (أمرؤ القيس ومن المتأخرين ابن الرّومي).

وهو تقسيم ينطوي على إلمام بجوانب الشّعر، ومعرفة بأربابه وإن كان مفهوم الطبع والصّناعة مفهومًا غير منسجم مع ما قال به أكثر نقاد العرب .

النّقد التطبيقي :

لا نكاد نجد نقدًا تطبيقيًا لدى ابن حزم في كتاب معيّن له صلة بآرائه النقدية. فقد رأينا أنّ آراءه النظرية تفرقت في رسائله، وكذلك كانت تطبيقاته النقدية على الشعر. وأول ما

---

(21) التقريب لحدّ المنطق ص 202 .
(22) التقريب لحدّ المنطق ص 207 .

يلاحظه الباحث في هذا المجال أن ابن حزم كان كثيرًا ما يلجأ إلى الشعر وذلك في مجال إيراد الشواهد للتدليل على الفكرة التي يحتج لها، فقد استشهد بأبيات لابن الرّومي وابن نباته والمتنبّي وجرير في مقام الاحتجاج، وقد كان يورد الأبيات دون أن ينسبها لأصحابها في مواضع أخرى[23].

وقد رأينا أن ابن حزم يروي كثيرًا من الأشعار مقرونة بأخبارها. ولكنّنا لا نكاد نلمح خلال روايته لها تعقيبًا يدل على نظرة نقدية إلّا في القليل النادر. فقد روى أبياتًا لامية لأبي بكر يحيى بن هذيل (ت 286 /889) وصفها بأنّها من مستحسن شعره[24].

ونجد بعض الأحكام النقديّة التي أصدرها ابن حزم في شعراء الأندلس، ومنهم ابن دراج القسطليّ حيث يقول فيه: «لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد» وقال في موضع آخر «ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن دراج القسطلي لما تأخّر عن شأو بشّار بن برد وحبيب والمتنبّي»[25].

وبعض هذه الأحكام يرد في رسالته المشهورة في فضل الأندلس وذكر رجالها. فقد ذكر أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي (ت 142 /758)، وأشاد بشاعريته فقال: «لم نُباهِ به إلّا جريرًا والفرزدق لكونه في عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين»[26]. وهو في حكمه هذا يأخذ بمعيار الموازنة بين شعراء العصر الواحد، بينما لاحظناه يوازن بين ابن دراج وشعراء يسبقونه أمثال بشار وأبي تمام والمتنبّي، وقد أعرب عن إعجابه بمذهب الأوائل، المذهب الذي جرى عليه الكلابي في شعره.

ولا يكتفي بهذين الشاعرين بل يثني على شعراء أندلسيين لا نعرف عنهم شيئًا كثيرًا، جعفر بن عثمان المصحفي، وأحمد بن عبد الملك، وأغلب بن شعيب، ومحمد بن شخيصي، وأحمد بن فرج، وعبد الملك بن سعيد»، ويصفهم بقوله: «وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الغرة»[27].

وإذ يردّ على أبي علي بن الربيب القيرواني في مجال تفوق الأندلس على المغرب، يسرد عددًا من المصنّفات في الشعر: منها كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار الشعراء وكتاب الحدائق

---

(23) رسائل ابن حزم : 2 / 41-42 ، 45 ، 122 ، 127 .

(24) رسائل ابن حزم : 2 /222 ، 66، 106 ، 194 ، 223 ، 228 ، 220.

(25) رسائل ابن حزم : 2 /187 ، انظر كذلك الجذوة ص 112 ، 114 .

(26) رسائل ابن حزم : 2 /187 .

(27) رسائل ابن حزم : 2 /8-187 .

لابن فرج الذي عارض به كتاب الزهرة، وكيف امتاز ابن فرج في معارضته، لأن أبا بكر أدخل مائة باب، في كل باب مائة بيت، وابن فرج أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت، ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئًا، وقد وصف الكتابين بالحسن، وجعل كتاب ابن فرج فردًا في بابه، ثم ذكر كتابين آخرين هما كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لأبي الحسن الكاتب وكتاب شرح أبي القاسم بن الإفليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدًا[28].

وتتصدر رسالته «طوق الحمامة» في مجال النقد التطبيقي حيث نجد صدى آرائه التي ذكرناها فيها فهو يبدىء القول ويعيده، في حقيقة أن الشّعر إغراق وكذب، وأنه يتحلى بخصال الشعراء فيما أورد ويؤكد ذلك للقارىء في أول رسالته وآخرها: «وسأورد في رسالتي هذه أشعارًا قلتها فيما شاهدته، فلا تنكر أنت ومن رآها عليّ أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلّين بقول الشعر...»[29].

وفي آخر الرسالة ذكر أشياء نجدها لدى الشعراء، مثل الإفراط في وصف النّحول، وتشبيه الدّموع بالأمطار... إلا أنها أشياء لا حقيقة لها وكذب لا وجه له، ولكل شيء حدّ[30].

إنّ ما جاء في تلك الأشعار يدخل أيضًا في باب الإغراق والكذب. وهو إذ يؤكد حقيقة الشعر ـــ في رأيه ـــ يبرىء ذمته ويتنصل من مسؤولية ما قال ويبرأ منها... لأنها تخرج عن حدود الشعر الخلقي التي حددها، فأكثرها يجري في الإغزال والترقيق، وهو ما نهى عنه كما رأينا، فالتطبيق عنده يتأخر عن النظرية. اللّهمّ إن كان المقصود بشعر الإغزال، شعرًا غير هذا الذي نعرفه.

ومن المواطن التي قال فيها الشعر، وجاء به على مرتبته قوله في إنكار الوقوف على الدّيار وذكر النرجس والبهار، خلافًا لما كان يذكره الشعراء من قطع الشيح والعرار للممدوح:

خلّ هذا، وبادِرِ الدّهـر وارحـل   في رياضِ الرُّبى مَطيَّ العُقـارِ
إنّ خيرًا من الوقوف على الـدا   رِ وقـوفُ البنـان بالأوتـارِ
وبـدا النّـرجسُ البديـعُ كصَبٍّ   حائرِ الطّـرفِ مائـلًا بالمـدارِ

ثم يعود ليبرأ ممّا قال ـــ على صفة الحقيقة ـــ «ومعاذ الله أن يكون نسيان ما درس لنا طبعًا ومعصية الله بشرب الراح لنا خلقًا... ولكن حسبنا قول الله تعالى، ومن أصدق من الله

(28) رسائل ابن حزم: 2/ 182–183.
(29) رسائل ابن حزم: 1/ 307.
(30) رسائل ابن حزم: 1/ 87.

قِيلًا في الشعراء ...» ولا يجد بَأسًا أن يذكر آراء بعض أصدقائه في أبياته وإعجابه بها.

وفي هذا المقام يقع في التناقض مع ما نهى عنه من الأشعار في حكمه النقدي .

ومن ضروب النّقد عند ابن حزم ما يمكن أن نسمّيه النّقد الإنشائي لأنه يعرب فيه عن موقفه من أشعار الشّعراء بأشعار ينظمها في موضوعها معارضًا معانيها، أو موافقًا في موضع آخر. فقد قرأ شيخه الحميدي يومًا بيتًا لأبي نواس هو[31] :

عَرّضنّ للـــــــذي تُحبّ بُحبٍ   ثم دعـــــه يروضُه إبلـــــيس

وطلب منه أن يقول في طريق التحقيق قوله، فقال ابن حزم:

أبنْ قولَ وجهِ الحقّ في نفس سامع   ودعه فنور الحـــق يسري ويشرق
سيـؤنسه رِفقًـا فينسى نِفـاره   كما نُسِيَ القيدُ الموثّق مطلـــقُ

فقد بيّن خطأ أبي نواس حين استعان بإبليس في روض حبيبه على حين استعان هو بنور الحق...

وقد عرض لأبي نواس في موطن آخر، حين تحدث عن السلوّ، فذكر أن من الشّعراء من يذمون الباكي على الدّمن، ويثنون على المثابر على اللذات، وكيف أن ابن هاني أكثر منه وافتخر به .

ونراه في موطن آخر، يقف على معاني الطيف لدى الشعراء ـــ في باب القنوع ـــ كالنّظام وأبي تمام ، والبحتري ، ثم يورد أشعاره بتواضع جم ـــ دون أن يساويها بأشعارهم ـــ بمعنى جديد، إذ لهم فضل السّبق في الميدان[32].

لكنه في الباب نفسه ، لا يجد بأسًا أن يصرح بالتفوق في إيراد المعنى «ولا يمكن لمتعقب أن يجد بعده متناولًا ولا وراءه مكانًا، مع تبيني علة قرب المسافة البعيدة»، ولعله يجيب ابن داود في كتاب الزهرة حين عرض هذا المعنى كما يشير الدكتور إحسان عباس[33] .

وتتبع معاني الشعراء حيث يورد أشعارهم ثم يعطف عليها بشعر له في مثل معانيها. ومن ذلك أنه ساق أبياتًا لعيسى الخولاني في ابن الجزيري الذي استهواه الشيطان، ثم يعقب عليه بإيراد قطعتين من الشّعر في المعنى ذاته[34] .

---

(31) الذخيرة: 1 /I/ 174 .

(32) رسائل ابن حزم : 1 /233 .

(33) رسائل ابن حزم : 1 /238 .

(34) رسائل ابن حزم : 1 /226 .

ويمكن أن نقف عند آخر نمط من أنماط النقد عند ابن حزم هو النقد البلاغي حيث يحدثنا عن التشبيه الذي أطلق عليه البلاغيون «التشبيه الملفوف» وهو تشبيه عدة أشياء بعدة أشياء، فقد جاء بيت فيه تشبيه شيئين بشيئين، ثم بقطعة فيها تشبيه ثلاثة ثم أربعة، وزعم أنّ له ما هو أتمّ من ذلك، وهو تشبيه خمسة أشياء في بيت واحد في قوله:

كأني وهيَ والكأسُ والخمرُ والدّجى ثرى وحَيا والدّر والتّبر والسّبَج

وعقب بقوله: « فهذا أمر لا مزيد فيه، ولا يقدر أحد على أكثر منه، إذ لا يحتمل العروض ولا بنية الأسماء أكثر من ذلك»[35]. وابن حزم بهذا يغفل بيت الوأواء الدمشقي (371 /981) المشهور[36].

وَأَمطَرتْ لؤلـؤًا من نَرجسٍ وسَقَتْ وردًا وعَضّتْ على العُنّابِ بالبَردِ

وفيه يقول أبو هلال العسكري (395 /1004): «ولا أعرف لهذا البيت ثانيًا في أشعارهم، وقد وُجد له ثان بقول الحريري المتقدم»[37].

ولم يفت الأندلسيين التّنبيه على وهم ابن حزم وزعمه بأنه أتم التشبيه، خمسة بخمسة، فقد عقب أبو عامر بن مسلمة بعد بيت ابن حزم، مشيرًا الى ورود ذلك في أشعار الشّعراء، لكنه اكتفى بإيراد بيت الوأواء[38].

وقد أوضح استخدام لفظة بمفهوم اصطلاحي هي كلمة «قران» وذلك في قوله:

كأن النوى والعتب والهجر والرضى قران وأنـداد ونـحس وأسعـد

يقول: « ولا ينكرنّ عليّ منكرٌ قولي «قران» فأهل المعرفة بالكواكب يسمون التقاء كوكبين في درجة واحدة قرانًا».

النظرية النقديّة عند ابن بسام:

إنّ دوافع التأليف لدى ابن بسام وظروفه يكشفان عن بعد جوهري من أبعاد الموقف النقدي لديه، وقد أشرنا سابقًا إلى أنّ الدافع الحقيقي الذي حدا به إلى تأليف الكتاب هو تحقيق الذات الأندلسية، بعد أن وجد إقبال الناس على الأدب المشرقي إقبالًا شديدًا ولاحظ أنّ

(35) رسائل ابن حزم: 1 /110.
(36) ديوان الوأواء تحقيق د. سامي الدهّان. ط. دمشق 1950 ص 84.
(37) كتاب الصّناعتين ص 229، فنّ التشبيه 2 /129.
(38) لمع السّحر ورقة 20 / م، الرّسائل: 1 /110.

أنظارهم لم تزل معقودة به في غفلة من الثمار الطيبة التي أتت أكلها لدى أدباء الأندلس، فغاظه ذلك وأنف مما هنالك وأخذ نفسه بجمع ما وجد من حسنات دهره ومحاسن أهل بلده وعصره[39] .

وقد أقام كتابه على أساس الانتقاء من الشعر والنثر لأدباء الأندلس في المائة الخامسة من الهجرة ـــ والجهد فيه لا يقل عن التحليل والتعليل أو التنظير والتقعيد[40] ـــ دون أن يكون ذلك مدعاة للعصبية التي تجعله يهمل الأدب المشرقي، فقد أشار إلى أنه إئتسى بالثعالبي في تأليفه المعروف بيتيمة الدهر الذي ألفه في محاسن أهل عصره، وحفظ له موقفه النبيل حين ترجم لعدد من شعراء الأندلس، ولذلك جعل شطرا من القسم الرابع لتراجم الشعراء المشارقة المشهورين.

ولم يلتزم ابن بسام بضوابط الانتقاء التي تقتضيها نظرة الناقد الحصيفة، بل عدل عنها إلى ضوابط مؤرخ الأدب التي جعلته يذكر الشاعر الخامل، وينشد الشعر النازل، لأرب يتعلق به، أو لخبر أذكره بسببه، وقد يذكر الرجل لنباهة ذكره، لا لجودة شعره[41] ... كذلك نجد أنه كثيرًا ما يورد أشعار المشارقة في ثنايا كتابه، في سياق توضيح أخذ الشعراء الأندلسيين عنهم ومدى تأثرهم بالشعر المشرقي.

ويقترن الدّافع الثّاني من دوافع التأليف بموقف نقدي نعده واضحا في الكتاب، فقد أصاب ابن بسام ما أصاب العقلاء من حزن وسف، على ما وصلت إليه جزيرة الأندلس في القرن 5 /11، من ضعف وتمكن العدوّ منها، حتى نكصت أحوالهم، وتراجع الأدب عن أهدافه الحقيقية، فصار ابن بسام يصل حسراته بما وصل إليه الأدب من نفاق وضياع. فانعكس هذا الدّافع في تأليف الكتاب على الشّاعر، وجعله يزهد في الشّعر الذي خرج عن غايته، على نحو ما لاحظنا عند ابن حزم الذي استثنى قسما يسيرا منه تتحقق به الغاية.

والموقف النقديّ عند ابن بسّام، يكمل المنهج الذي سلكه في تأليف الكتاب، وهو يقوم على أساس تراجم الشّعراء، وتقويم أدبهم من خلال أبرز الأحداث التي خضعوا لها، حيث قسمهم أربعة أقسام، كل قسم يشتمل على أسماء الرؤساء والكتّاب والشّعراء وأخبارهم حتى اجتمعت لدينا تراجم مائة وأربعة وأربعين شاعرًا وأديبًا، فيها معلومات قيّمة عنهم انفرد ابن بسّام برواية الكثير منها .

(39) الذخيرة: 1 /1/ 12 .
(40) صرّح بذلك ابن بسّام في مواضع من كتاب الذّخيرة. انظر مثلا: 1 /1/ 139 .
(41) الذخيرة: 1 /1/ 32.

وموقفه من الشّعر واضح في مقدّمته التي استهلّ بها الكتاب، إذ لم يكن مؤرّخا أدبيًا فحسب، بل هو كما وصفه الدّكتور إحسان عبّاس مؤرّخ أدبيّ نافذ في قراءة الشّعر، وله منهج نقديّ[42] ، وقد صرّح ابن بسّام بأنّه لا يرتضي الشّعر مركبا، ولا يتّخذه مكسبًا وأنه يزوره لمامًا رغبة بعزّ نفسه عن ذلّه. لا سيما إذا دارت أقداحه «وإنّما أكثره خدعة محتال وخلعة مختال جده تمويه وتخييل، وهزله تدليه وتضليل»[43] . وقد تساءل أحد النقّاد هل كان ابن بسّام لا يؤمن بالشعر أو أنه يداري نظرة سائدة في زمانه؟

وحقيقة الأمر أنه يؤمن بالشّعر ضمن مواصفات معينة، وقد انجلى إيمانه واضحًا في موسوعته التي اختصها بأدباء الأندلس، كما تبيّن لنا واضحًا موقفه الخلقي في مواضع مختلفة من الكتاب، وفي موضوعات أربعة لم يفسح القول فيها، فقد نبذ شعر الهجاء ونزّه كتابه عنه، واكتفى بمليح التعريض منه. وكذلك الأمر كان بالنّسبة إلى شعر المجون، وصف أشعاره فيه بالثقل والفجاجة، وكان الموقف مشابهًا في موضوعين آخرين هما شعر الإلحاد والفلسفة، وشعر المديح التكسّبي[44] ، حيث كان الشاعر الصّادق مطلبه، وجرى على ما جرى عليه الآمدي في القول بأن أعذبَ الشّعر أصدقه[45] .

وموقفه النقديّ النّابع من إيمانه برسالة الشّعر التي تقوم على أساس الالتزام بالقيم الخلقيّة، والمفاهيم الإسلامية، الضّامنة للأندلس البقاء والاستمرار، بعد أن تكالب عليها الأعداء، لا يمنعه من أن يظهر إعجابه بعدد من الشّعراء، مرقوا عن هذه المفاهيم التي آمن بها كما هو الحال مع أبي العلاء فيما اخترعه، وأبي الطيب في سعة نفسه، ولكن شابت أفكارهما معان فسلفيّة، بعدت بهما عن جادة الصواب، حيث رأى الدّكتور إحسان عبّاس في اختلاف الموقفين صراعًا دون أنّ يجد له حلا[46] .

وفي النّظرية النقديّة التي يطرح علينا أبعادها في مقدمة كتابه، نجد موقفه صريحًا من القديم والجديد، فقد انتصف للجديد وتحول عن القديم المردّد المكرر الذي أصبح ثقيلًا مملولًا وذلك لأن الإحساس غير محصور، والفضل ليس بمقصور على زمن، وإنّ الاقتصار على كتب المتقدمين مدعاة لذهاب الأدب وضياعه[47] ، يستثني من ذلك موقفه من الموشحات، ومن المعاني الفلسفية، حيث انحرف به عن جادة الصواب، بالقيم الفنية والخلقية[48] .

(42) تاريخ النقد ص 506 .

(43) الذخيرة: 1 /1 /18.

(44) ينظر تفصيل ذلك في كتاب صاحب المقال «الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي» ط. بيروت 1986 ص 428-438 .

(45) الموازنة : 2 /258 ، وكذلك ابن بسّام وكتابه الذخيرة ص 229.

(46) تاريخ النقد الأدبي 505 .

(47) الذخيرة: 1 /1 /14 .

(48) الذخيرة: 1 /1 /370، 2 /1 /480 .

وقد لاحظ الدكتور إحسان عباس أن أبرز مواقف ابن بسام هي نتيجة واضحة للبيئة التي خضع لها... والمفاهيم التي سادت عصره[49].

إنّ هذه البيئة، وتلك المفاهيم التي سادت عصره جعلته ينظر إلى البديع نظرة استحسان، لأنه وجده قيم الأشعار وقوامها، وبه يعرف تفاضلها وتباينها[50]. ولذلك قرّر أن يحدثنا عن أسبابه وأسمائه وألقابه[51]، والأمر طبيعي منسجم مع عصر يقبل على الزخرف بقدر، في شتّى مجالات الحياة.

النّقد التطبيقيّ :

لقد مارس ابن بسام النّقد في كامل كتاب الذخيرة، ولم يكن فقط مؤرخا للأدب واستدل بعض الدارسين على نفاذ نظراته النقدية في تعليقه على أبيات أبي بكر بن بقيّ التي فيها:

وما هي إلّا الدهر في طُول عُمرها وإنْ لم يكن فيها الضحى والأصائل

حيث ذهب ابن بسام في استحسانه مذاهب شتى، إلّا أنه لم يجد بأسًا من انتقاده لأنه جعل الدهر مسلوب الضّحى والأصائل «وليت شعري أيُّ شيء أبقى للدهر المظلوم بعد ضحاه الناصعة الأديم، وآصاله المعتلة النسيم ؟ هل بَقى إلا ليلُه الأسودُ الجلباب، وهجيره السائل اللعاب ؟! ». ثم يقترح ابن بسّام على الشّاعر أن يجعل بيته «وتلك العلا فيها الضحى والأصائل»[52] حتى يفيَ ممدوحه حقَّه من المدح، ويدرك بيته ما لا تدركه القصائد الطوال.

ويعمد ابن بسّام النّاقد إلى ضروب من التفسير والتحليل[53]، والوجه المقبول أو الضعيف فيها. وهي مهمة يضطلع بها النّاقد الحقّ، ويحتاج منه إلى ثقافة واسعة، وفيها إضاءة بارعة لجوانب من النص ، وأمثلة ذلك كثيرة منها ما جاء في سياق فصول أوردها من التوابع والزوابع لابن شهيد، حيث ترد عبارة «فبعمرو والقمر الطالع، وبالرقعة المفكوكة الطابع». وحين ينتهي من إيراد هذه الفصول يشير إلى أن أصل العبارة من قول أبي تمام في أبيات له:

يا عمرو قل للقمرِ الطّالِعِ اتسعَ الخرقُ على الرّاقعِ
يا طولَ فكري فيكَ في خاملٍ رُقعةُ مفكوكةُ الطّابعِ

---

(49) تاريخ النقد الأدبي 507 .
(50) الذخيرة: 1/ 1/ 16 .
(51) الذخيرة: 1/ 1/ 18 .
(52) الذخيرة: 2/ 2/ 4-625، انظر كذلك: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص 506 .
(53) هذه الحقيقة لا تتناقض مع ما صرّح به من أنّ كتابه ليس ميدانا للبيان والتفسير بمفهوم شرح مفردات الأبيات وتفسير معانيها.

ثم ينقل لنا خبر عمرو مع أبي تمام وقصة الرقعة التي أشار إليها في البيت(54) .

ومما اعتمده في هذا المجال أنه كان يورد البيت، ويحدد المعنى الذي ينسجم مع السياق ثم يعقب عليه بقوله « وهذا التفسير فيه أضعفُ الوجوه»(55). وكان أحيانًا يفسر أبرز لفظة في البيت ، ليوضّح معناه(56) .

وقد كان يعمد في هذا السبيل إلى إجراء الموازنات بين الشعراء حيث شبه ابن شرف بابن دراج في شكوى زمانه وحديثه عن الفتن(57) ، وأمثلة ذلك كثيرة(58) .

ومن مهام النّاقد الرئيسية دقّته في رواية الأشعار، وتحرّيه نسبتها إلى أصحابها(59)، والتمييز بين الشّعر المنحول من الشّعر الموثوق النّسبة، وقد سلك في هذا المنهج أساليب متعددة، فنراه ينصّ على المصادر التي استقى منها مادته الأدبية أو التّاريخية، ليس هذا فحسب بل يذكر أنّه نقل النّصوص من خط ابن حيّان(60) ، ويلتمس الدّقة فيقول: «ونقلت بعضه من لفظ الشيخ المذكور بنصّه، وأتيت من الحديث بفصّه، وأعتمدت الإيجاز وأتقنت الصّدور والأعجاز»(61) .

ومن النصوص التي نص على أنّها منحولة على حسان بن ثابت ومفتعلة عليه، الأبيات الرائية التي نحلها بعض الرواة عليه، واعتمدها حسان المصيصي الشّاعر الأندلسيّ حين تشبه بحسان بن ثابت، وأتى ابن بسّام بالأدلّة التي تثبت بطلان نسبة الأبيات التي تسم حسّان بن ثابت بالجبن(62) .

وبعد أن عرضنا للسّمات العامة في النقد التطبيقي عند ابن بسام سنتوقف عند أبرز السّمات الخاصة لنقده وذلك في سبع قضايا مهمّة هي :

(54) الذخيرة: 1 /1 /253، 279. انظر كذلك ابن بسّام وكتابه الذّخيرة ص 234 .
(55) الذخيرة: 1 /1 /383.
(56) الذخيرة: 2 /2 /702 .
(57) الذخيرة: 1 /1 /92 .
(58) الذخيرة: 1 /1 /69 .
(59) د. أحمد بدوي: أسس النّقد الأدبي عند العرب ط. القاهرة 1964 ص 294 ، 297 .
(60) الذخيرة: 1 /1 /48 ، 132 .
(61) الذخيرة: 1 /1 /35 .
(62) الذخيرة: 2 /1 /440، انظر كذلك الذّخيرة : 2 /2 /605 حيث يورد بيتين لابن الرّومي ثمّ يعقّب بإيراد رأي صاحب العمدة فيهما ونسبته إيّاهما لأبي نواس .

النقد الانطباعي التأثري :

لا يكاد ابن بسّام يخرج عن نقاد عصره في إصدار أحكامه العامة على الشعراء وأشعارهم. وهي صورة تنطوي على الارتجال وتعميم الأحكام، لكنه، يعمد إلى التحليل والتعليل في بعض تلك الأحكام، فقد كانت القصيدة تبلغ مبلغ استحسانه حيث وصف قصيدة ابن دراج اللامية الطّويلة بأنها كانت من الهاشميات الغر، بناها من المسك والدر، ثم وازنها بنظائرها وفضلها على قصائد دعبل والكميت والسيد الحميري وكُثير(63) .

ونسب قصائد لأبي المغيرة بن حزم إلى لبيد، ورسائله لابن العميد فقال: «وقد أخرجت من رسائله العميديّة وقصائده اللبيدية، ومما جرى بينه وبين ابن عمه، ما يسحر الألباب ويبهر الشعراء والكتّاب»(64) ، وجعل نونية ابن زيدون فريدةً، وإن الذين عارضوها قصروا عنها، ووصف قصيدة لابن دراج بقوله (من حر كلامه وسحر نظامه)(65) وقصيدة لابن زيدون (من غرر نظامه وحر كلامه)(66) وقصيدة لابن عبدون (من حر النظام وجزل الكلام)(67) والمقصود بحر الكلام، أن يكون بعيدًا عن السوقية، بعيدًا عن استعمال العامة(68) .

ووصف نسيب ابن زيدون، بالسائر الغريب، الطيّار المليح، الخفيف الروح(69) . وفي موضع آخر قال «معنى مليح ولفظ صحيح»(70) ، ومثل هذه الأحكام تتردد في أكثر الكتب النقدية.

وكذلك كان الأمر في أحكامه للشعراء، فقد أعجب ببيتي ابن الرومي، فقال: «وبلغ من الإجادة فوق الإرادة»(71) وقال عن ابن شهيد: إنه ضارع محاسن الطبقة العالية البغدادية(72) ووصف أدبه بقوله «نظم كما اتسق الدرُّ على النحور، ونثر كما خلط المسك بالكافور، إلى نوادر كأطراف القنا الأملود، تشق القلوب قبل الجلود»(73)

(63) الذخيرة: 1 /1 /87 .
(64) الذخيرة: 1 /1 /133 .
(65) الذخيرة: 1 /1 /362، 84 .
(66) الذخيرة: 1 /1 /367 ، وكذلك : 587/2/2 .
(67) الذخيرة: 2 /2 /690 .
(68) أسس النقد الأدبي عند العرب 658 .
(69) الذخيرة: 1 /1 /373 .
(70) الذخيرة: 1 /1 /379 .
(71) الذخيرة: 1 /1 /152 .
(72) الذخيرة: 1 /1 /219 .
(73) الذخيرة: 1 /1 /192 .

ومن أحكامه قوله في بيت حسّان المصيصي: «مما بعد شأوه، وفات سروه» وفي بيت آخر قال: «من حسنات شعره وأبين آيات ذكره»[74].

وقوله في بيتين لأبي مروان بن رزين «صبح بلا صبوح، وجسد بلا روح، أستأذن بهما على قول الحسن فما وصل، ودندن حول ذلك المقطع المستحسن فما تحصل له ولا حصل»[75] ومثل هذه الأحكام تكاد تخرج عن الاستقصاء لكثرتها.

ولم يختلف موقف ابن بسام عن نقاد عصره، من الاقتباس من القرآن الكريم، حيث أنكر على المعري، والمصيصي، والمنفتل هذا الأمر[76].

2 ـــ النقد البلاغي [77]:

ويلاحظ أن ابن بسام كان يعمد في أحكامه النقدية إلى التنويه بالفنون البلاغية، في الأشعار التي استشهد بها، وكان يجري الموازنات النقدية بين الشعراء، الذين يتشابهون في الموضوع الواحد. فبراعة ابن برد تجعله متفوقًا على ابن المعتز، وذلك حين جمع في أحد أبياته بين بابين من أبواب البديع[78].

ومن ملاحظاته في فنون البديع استحسانه بيت أبي العلاء بن زهر، فقد جعله من مليح الالتفات، وذكر رأيًا لبعض النقاد يجعله تتميمًا، ثم رجّح كونه التفاتًا، وأورد أمثلة تؤكد ترجيحه معتمدًا على كتاب البديع لابن المعتز. وعن ضروب الالتفات، الاعتراض والاستدراك حيث أورد أمثلة عليهما[79].

ومن اهتمامه بالتجنيس الأبيات التي أوردها لأبي الحسن الحصري القيرواني، ولاحظ أنه كان فيها متابعًا للمعري إلا أنه لم يبلغ شأوه[80].

ويشير إلى ضرب من البديع يسمى الإيماء يجده في بيت أبي إسحاق بن المعلى. وينص على أنه ضرب لا يستطيعه إلا الشاعر المبرز الماهر، ومما يتصل به الإشارة، والتلويح، والتعريض، والرّمز، واللّغز، ويسميه بعضهم التتبيع وبعضهم يسميه الإرداف[81].

---

(74) الذخيرة: 2 / 1/ 437.
(75) الذخيرة: 2 / 1/ 114.
(76) الذخيرة: 1 / 1/ 78، انظر كذلك الاتجاه الإسلامي ص 426، 481.
(77) ابن بسّام الشنتريني ص 255، كذلك انظر ابن بسّام وكتابه الذخيرة ص 240.
(78) الذخيرة: 1 / 1/ 511.
(79) الذخيرة: 2 / 1/ 223.
(80) الذخيرة: 4 / 1/ 259.
(81) الذخيرة: 3 / 2/ 851، 853.

ومن فنون البديع التقسيم والتقطيع وقد صنعه المولودن. وقد أورد أمثلة عليه لأبي العميثل الأعرابي، وديك الجن، والمتنبي ، ثم بين تمكن ابن زيدون منه في قوله:(82)

ته أحتمل، واستطل أصبر، وعزّ أهن ... وولِّ أُقبل، وقُل أسمع، ومر أطع

وفي موضع آخر يشير إلى التقسيم المليح في قول حسان بن المصيصي للمعتمد :

في كل معتقل بالبأس مخترط ... بالعزم مدرع للحزم مشتمل

وهو يناظر أبياتا لأبي سعد المخزومي وأبي تمام(83) .

ومما يتعلق بالفنون البلاغية وقوفه عند فنون البيان ومنها التشبيه، حيث كان يستحسن التشبيهات البليغة فنعت بعضها بقوله : «وهذا من التشبيه الذي ما له شبيه»(84) أو على نحو ما وقف عند بيت ابن زيدون :

شباب أفق همّ أنْ يَشيبا ... بادرتُ سعيًا هل رأيت الذّيبا

وبين أنه متأثر بقول أحد الرجاز، ثمّ بين أنّ هذا التشبيه هو نوع من أنواع الإشارة.وهو في ذلك يعتمد على ابن رشيق في كتابه العمدة، دون أن يشير إلى ذلك(85) .

وقد استحسن بعض الاستعارات وحدّد مفهومها، حين وقف على قصيدة أبي الحسن بن سراج، النونية، ووصف استعاراته بالأناقة والجمال، واستثنى الشاعر في ذلك من الشعراء العلماء(86). لكننا نراه في مواطن أخرى يعلن ثورته على الاستعارات البعيدة، ومنها ما أنكره على ابن الطلاء والمتنبي وابن المصيصي(87) .

ومن فنون البيان التي أشار إليها الكناية، حيث جعل أبيات أبي القاسم المنيشي من الكنايات المختارة(88) ، وأنكر على ابن عمار الذي كان يعتمد التصريح في غزله(89) ، وهو أمر نابع من موقف ابن بسام من الأشعار التي مرقت عن القيم الخلقية. وهي القيم التي جعلها شرطًا في استحسان الشعر وتقويمه، لقد أنكر على ابن شهيد أبياتا جعلها في باب التعريض لكن ابن بسام يجدها تصريحًا لا تعريضًا.

(82) الذخيرة: 1 /1/ 371 . انظر كذلك كتاب: تيارات النقد ص 262.
(83) الذخيرة: 2 /1/ 442 .
(84) الذخيرة: 2 /2/ 702.
(85) الذخيرة: 1 /1/ 368 . انظر كذلك : العمدة : 1 /303 .
(86) الذخيرة: 1 /2/ 823.
(87) تاريخ النقد الأدبي ص 506 .
(88) الذخيرة: 2 /1/ 149 .
(89) الذخيرة: 2 /1/ 373 .

3 ــ النقد الموازن :

وفي مجال النقد الموازن كثيرًا ما يعقد الموازنات بين شاعرين ليظهر فضل أحدهما على الآخر. فقد فضل أبا حفص بن برد من قبل على ابن المعتز، ونجده يفضله على أبي المطرف ابن فتوح، حيث وجد ابن بسام أن الأخير كثيرًا ما يغتصب، ويختطف، ويستلب أشعار سواه، وإن كان ابن فتوح يصف نفسه بالبراعة في أخذ المعاني واصطيادها، ويقرّ بأن ابن برد أبرع منه في الملح القصار، ولكنه يمتاز عليه في مطولات الأشعار.

وتخلص الموازنة بين الشاعرين إلى امتياز ابن برد على ابن فتوح، من خلال الأشعار التي أوردها ابن بسام حتى اعترف بأنه ظلم ابن برد حين وازنه بابن فتوح «فهو معه كما يقابل الصباح بالمصباح، وتباري الرياح بجناح»(90). ويعلل براعة ابن برد بجودة السرد وتمكن القوافي وأما قوافي ابن فتوح فهي قلقة مضطربة موضوعة في غير مكانها.

ووازن بين ابن الأبار وابن وهبون، في مجال الشعر الماجن فاستحسن أبيات أبي جعفر ابن الأبار واستقبح أبيات ابن وهبون(91) .

كما وازن بين أبيات لابن زهر في مدح حسام الدولة وأشعار أبي الطيب في مدح سيف الدولة الحمداني بفن أطلق عليه : «جنس السيفية»(92) .

وقد كان يعمد إلى الموازنة بين الشعراء الأندلسيين والمشارقة، ويلتزم جانب النّصفة والحيدة، فيحكم للشعراء الأندلسيين أحيانًا كما تقدم بنا، أو يحكم للمشارقة بالتفوق، دون أن يجد في ذلك غضاضة أو بأسًا يقللان من شأن شعراء الأندلس، وهو الذي أراد أن يثأر لهم، فقد فضل جميل بن معمر على حسان المصيصي في قطعتين، على أنه يقر لحسان بحسنات كثيرة أشار إليها خلال ترجمته.

وأنكر على السّميسر غلوّه في التقليد وتتبعه أبا العلاء فيما كان ينظمه، لكنه وجد أن ما بينهما ما بين النجوم والحصباء، لتفوق المعري بحسن الإبداع ولطف الاختراع، وهذه الأحكام الموازنة جَرَتْ على ألسنة كثير من نقاد المشرق في كتب متخصِّصة أحيانًا وفي أحكام عامّة،

---

(90) الذخيرة: 1 /2 /771 .
(91) الذخيرة: 2 /1 /144 .
(92) الذخيرة: 2 /1 /6-227 .

ومن النوع الأول ما ألف من الموازنة بين أبي تمام والبحتري أو المتنبي وشعراء العرب، وقد نقل ابن بسام حكم الثعالبي الذي وازن فيه بين شاعرين حين جعل ابن دراج بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام[93].

4 ـــ النقد التعليلي :

ويلمح الدارس تحليلًا وتعليلًا لعملية الإبداع لدى الشاعر، يسلماه إلى إصدار الأحكام النقدية في النصّ الشعري... وقد نظر هذه النظرة في ثلاثة قضايا نسب اثنتين إلى أئمة الأدباء، فبعد أن أورد قصيدة ابن وهبون في رثاء أستاذه أبي الحجاج الأعلم الشنتمري التي مطلعها:

سبــق الفنــاء فمــا يدوم بقــاء تفنى النجــوم وتسقــط العليــاء

ذكر على سبيل الاستطراد، أن ألفاظ النساء أشجى في باب الرثاء من كثير من الشعراء، لما ركب في طباعهن من الخور والهلع... ولذلك عزّوا المراثي من ألفاظ النسيب[94]...

وينتقل إلى القضية الثانية، وهي تتصل بالرثاء أيضًا، فيقرر أنا أشدّ الرثاء صعوبة على الشعراء تأبين الأطفال والنّساء، ويعزز رأيه بشواهد من شعر أبي الطيب المتنبّي في رثاء أم سيف الدولة وأخته، ويلاحظ أنه اعتمد في القضيتين على رأي لابن رشيق القيرواني في العمدة[95].

وفي موضع آخر من الذّخيرة نجد تطبيقًا لما ذكره من خصائص شعر النّساء حيث يعلّق على بيت للمعتمد بن عباد من قصيدة يبكي فيها ولديه «كأنه من أشعار النساء وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبنى وإن خالفه في المعنى»[96].

وأما القضية الثالثة فهي تتصل بشعر العلماء، فقد ترجم لعدد من العلماء الشعراء منهم أبو الحسين بن سراج، حيث أورد أبياتا له استحسنها وأثنى عليها ووصف سائر مقطعاته بهذا الوصف، وجعل أشعاره مستثناة من أشعار العلماء لأنها «على قديم الدهر، وحديثه، بينة التكلف، وشعرهم الذي روي لهم ضعيف...»[97] ثم إنه استثنى من المشارقة مجموعة وشهد

(93) الذخيرة: 1/ 1/ 60.
(94) الذخيرة: 2/ 1/ 489 .
(95) العمدة : 2/ 152-154 .
(96) الذخيرة: 2/ 1/ 70 .
(97) الذخيرة: 1/ 2/ 824 .

لهم بارتفاع شعرهم ديباجة ورونقًا. وانتقل إلى العلماء الشعراء في الأندلس وأشار إلى جهود المصنفين قبله في تدوين نثرهم ونظمهم ممن سبق عصره وجعل أبرز العلماء الشعراء في عصره سبعة ترجم لهم.

5 ــ النقد الخلقي (98) :

قد سبق أن أشرنا إلى المعيار الخلقي الذي التزمه ابن بسام في كتابه، حيث يرد في مواضع مختلفة منه. ولكن الدارس يرى أنّ ابن بسّام كان بين أمرين هما هدفه من تأليف الكتاب، بين أمانة مؤرخ الأدب، ونزاهة الأديب الناقد، واقتضاه الأمر الأول، أن ينقل لنا صورة واضحة عن أدب عصره وأدبائه في سموّه وارتفاعه، أو هبوطه وإسفافه، حيث صرح بذلك في مقدمة كتابه لأن مهمة مؤرخ الأدب تقتضي أن يعطي صورة متكاملة عنه دون أن يهمل الشاعر الخامل أو الشعر النازل كما تقتضيه أن يذكر الرجل لنباهة ذكره لا لجودة شعره(99) .

أما الأمر الثاني، نزاهة الأديب الناقد، فقد تعارض إلى حدّ ما مع الأمر الأول. وكان وهو يحاول التوفيق بين مهمة الأديب والناقد يعقب على النصوص ويبين مواطن الزلل فيها. فقد انتظم المعيار الخلقي بكتابه في مواضع شتى، وقد عرضنا هذا المعيار حين تحدثنا عن نظريته النقدية. ولنا في هذا المقام أن نبين جانبًا من تطبيقاته التي تمثل هذا المقياس. ففي مجال الهجاء أنكر على ابن شهيد ما رآه تعريضًا وقرر أنه يدخل في باب التصريح «وليت شعري ما التصريح عند أبي عامر إذ سمّي هذا تعريضًا؟»(100) واعتذر عما أورده من أشعاره بسبب الاستطراد.

ومن النّاحية التطبيقية وجدنا ابن بسام يحكم مقياسه الخلقي في ثلاثة مواضع من كتابه، في ترجمة ولادة بنت المستكفي(101) وفي ترجمة السميسر(102) أبي القاسم الإلبيري، وفي ترجمة

(98) انظر ابن بسّام الشنتريني ص 221 ، 226 ، 232 ، وكذلك : ابن بسّام وكتابه الذّخيرة ص 228 .

(99) الذخيرة: 1 /1/ 32 ، انظر كذلك ابن بسّام وكتابه الذّخيرة ص 165 .

(100) الذخيرة: 1 /1/ 307 .

(101) الذخيرة: 1 /1/ 432 .

(102) الذخيرة: 1 /2/ 883 .

أبي محمد بن صارة الشنتريني[103] ، ويمسك عن إيراد أشعارهم في الهجاء لأنها تعارض مقياسه الخلقي الذي هو مقياس نقدي في نظرته للشعر.

وفي مجال المجون صرّح بأنه لم يجعل كتابه ميدانًا للسّفهاء[104] ، ولذلك أنكر على ابن وهبون أبياتًا فيها فحش ظاهر، وفي موضع آخر أورد أبياتا لأبي جعفر بن الأبار في الغزل، عقب بعدها بأبيات لعبد الجليل بن وهبون ، استقبح بعضها الذي أورده، وأضرب عن بعضها وصان كتابه عنها[105]، وفي موضع ثالث يصدر حكمًا مماثلا عليه[106] ، ووصف أشعاره في موضع رابع، موازنًا بينه وبين ابن القابلة السبتي، بأنها من الكلام الفج الثقيل[107]. وجعل معاقرة العقار سببًا في خمول شاعر ذي مرتبة عالية في الأدب هو أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجد[108] .

وحين يترجم لذي الوزارتين ابن عمار يصف أشعاره بالجموح، لأن مذهبه الإعراض عن الكناية بالتّصريح وأن أمله كان بين شرب كأس، وشم آس، وجذله في نصب حباله لغزال أو غزالة، ترى ذلك كثيرًا في أشعاره... حتى ثل ذلك عرشه)[109] .

وفي قضية ثالثة بعد الهجاء والمجون هي شعر الإلحاد والأفكار الفلسفية، ينكر ابن بسام هذا اللون من الأشعار على عدد من الشعراء منهم أبو القاسم السميسر الذي أراد أن يحتذي حذو أبي العلاء المعري[110] ، وكذلك الموقف من أشعار ابن وهبون ذات الصبغة الفلسفية حين رثى أستاذه الأعلم الشنتمري، ذهب فيها مذهبًا كلامًا. يشبهه في ذلك أبو عامر بن سوار الشنتريني، وقد عزا معاني ابن وهبون إلى أبيات تناظرها للمتنبي نقلها عن أبي غسّان المتطبب الشاعر البصري[111] .

ووجد في أشعار لابن دراج القسطلي موقفًا عن الدين حين شبه نفسه إذ أوى إلى ظل الممدوح بموسى إذ أوى إلى الظل. ومثل ذلك كان الموقف من حسان المصيصي وأبي خيرة

(103) الذخيرة: 2 /2 /835 .
(104) الذخيرة: 2 /2 /846 .
(105) الذخيرة: 2 /1 /144 .
(106) الذخيرة : 1 /1 /145 .
(107) الذخيرة: 4 /1 /286.
(108) الذخيرة: 2 /1 /556 .
(109) الذخيرة: 2 /1 /373 .
(110) الذخيرة: 1 /2 /890 .
(111) الذخيرة: 2 /1 /1-482 .

المنفتل حيث يرى في أشعاره اجتراءً على الخلق والخالق[112]. ولا شك أن ابن بسام في حكمه هذا كان خاضعًا لهاجس المسلم، الذي يتحرى في الشاعر العقيدة النقية من الشوائب، فقد أثنى على بيت لحسان المصيصي، يرجو فيه دخول الجنة بغفران الله لا بعمله، وشفع هذا البيت بأبيات للحسن بن رشيق في المعنى نفسه أبدى تعجبه من حسنها[113].

ولا شك أن استهجان الفلسفة على إطلاقها، لم يكن مقصودًا لدى ابن بسام، كما لم يكن موقف أهل الأندلس جملة منها، إنما كان المستهجن منها تلك التي تنحرف بالعقيدة إلى الإلحاد[114]، فقد وصف ابن زهر في بعض أشعاره ــ بمعرض الثناء ــ بأن له معاني فلسفية[115].

والقضية الرابعة ذات البعث الخلقي تقترن بشعر المدح حيث ينكر على الشاعر المدح التكسبي، لا سيما إذا كانت أشعاره خارجة على القيم الخلقية، وهذا الموقف واضح من أبيات حسان المصيصي وابن اللبانة الداني اللّذين خصّا بها المعتمد بن عباد، وزينا فيها موقفًا منحرفًا له حين كان يدفع الإتاوة لملوك إسبانية، فقال: «وهذا مدح غرور، وشاهد زور، وملق معتف سائل، وخديعة طالب نائل[116]».

ثم وجد في موقف ابن اللبانة وأمثاله من الشعراء سببًا في سقوط الأندلس، ومحنة العرب بها، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن دعا إلى الرحيل عنها بعد أن سقطت مدينة طليطلة، جاء ذلك على لسان ابن العسال في أبياته المشهورة، ولاشك أنّ موقف ابن اللبانة أليق من موقف ابن العسال، إزاء قضية تتعلق بمصير أمة في الأندلس.

وقد تصدّى ابن بسّام لشعراء آخرين منهم: ابن خيرة المنفتل[117] الذي مدح الوزير اليهودي ابن النغريلة وكان متهالكًا في أبياته على ما يصيبه منه، وقد جاء فيها من الغلو ما جعل ابن بسّام يبرأ منه إلى الله ذي القوّة والحول.

ومما يلفت النظر أن يؤلف ابن بسّام كتابًا في الهجاء باسم «ذخيرة الذّخيرة» أفكان الكتاب يمثل انقلابًا في موقف ابن بسام النقديّ من الهجاء؟ أم إنه كان يمثل مرحلة من حياته الأولى، حتّى استقرّ على الصّورة الأخيرة، حيث يمثل كتاب الذّخيرة آراءه في مرحلة النّضج،

(112) الذخيرة: 1/ 1/ 78.
(113) الذخيرة: 2/ 1/ 438.
(114) الذخيرة: 2/ 1/ 82.
(115) الذخيرة: 2/ 1/ 231.
(116) الذخيرة: 2/ 1/ 8-249.
(117) الذخيرة: 1/ 2/ 765.

أو لعلّه إنما ألّف كتابًا في الهجاء ليتداوله الخوّاص فقط، والرّاجح لدينا الاحتمال الثّاني كما يبدو من عبارة الذّخيرة(118) .

6 ــ قضية اللفظ والمعنى :

نستطيع أن نقرر أنّ ابن بسام قدم دراسات قيمة حول اللفظ والمعنى، وأهميتهما في النّص الشعريّ، وقد أعانته على ذلك ملكةٌ متميزة في تتبع المعاني وتمييز المتداول المكرر منها. والغريب الطريف، وسياق أمثلة عليها مما يناسبها في ذلك الوجه ويشبهها فيه وتحديد مبلغ الزيادة في تلك المعاني وأبعادها أو النقصان وآثارها في جودة النص الشعري، وتتبع أصول هذه المعاني، في أشعار المشارقة والإسلاميين والجاهليين وأحيانًا في الكلام البليغ من النثر والأمثال .

وأمثلة ذلك كثيرة فمن ذلك تتبعه معنى بيت لأبي القاسم المعروف بالمنيشي الإشبيلي يقول فيه :

غلاميـــةٌ ليس في جسمهـــا مكـــانٌ دقيـــقٌ سوى خصرِهـــا

قال ابن بسام : البيت ، معنى كثر ترداده، وطال منهم تعمده، واعتياده، وأرى أيضًا أن أوّل من أشار إليه، ونبّه عليه الملك الضليل حيث يقول:

متى ما ترق العين فيه تسهّل ... البيت

غير أنه أورده مقلّص الذيل، بهيم الليل، وقد بينه بقوله :

« له أيطلا ظبي وساقا نعامة »

ثم نقله الشعراء بعد، كل على مقدار ما أوتي من البيان، ووهب من الإحسان، فقال الأعرابي :

عُقَيليـــة أمّـــا مَلاثُ إزارِهـــا فدعِصٌ، وأمّـــا خصرهـــا فَبَتيـــلُ

وقال الآخر :

تساهـم ثوباهـا ففـي الـــدرع رادةٌ وفـي المـرط لَفّـاوان ردفهمـا عبـلُ

وقال ابن أبي ربيعة :

نُحودٌ وقيـــرٌ نصفهـــا ونصفهـــا مهفهـــف

(118) الذخيرة: 2 /2/ 825 . وانظر كذلك: ابن بسّام وكتابه ص 38 .

وما يزال يتتبع معنى البيت عند أبي تمام والأخطل، وخالد بن يزيد، حتى يخلص إلى القول «ومدحهم بضمور الكُشح ، وجولان الوُشح ، وصموت القلب والخلخال، وامتناع الخدام من الحجال كثير». ثم يعود ثانية إلى سياقة هذا المعنى في أشعار العرب، عند النابغة وأبي تمام، وابن أبي زرعة، والمتنبي والناجم[119] .

وأمثال هذه الصورة من تتبع المعاني كثيرة[120] . وربما تتبع ابن بسام الأشعار التي قيلت في موضوع واحد، على نحو ما أورد أبيات ابن شهيد العينية في الحمام، ثم عقب بعدها بإيراد ست مقطعات تتعلق بذكره[121] .

ولم يترجّح المعنى عنده على اللفظ، كما يبدو ــ لأول وهلة ــ من كثرة اهتمامه بتتبع المعاني فقد صرح في مواضع مختلفة بأهمية التناسب في الألفاظ والمعاني، فقال: «والتناسب في الألفاظ والمعاني، حبل يتصل ولا ينفصل وإنّما نلمع منها باليسير اللطيف وقد أدرج منها جملة وافرة في تضاعيف هذا التصنيف»[122] .

وقد أشار في موضع آخر إلى أنّ براعة الشاعر تكمن في اجتماع اللفظ والمعنى فقال: «وهذا البيت أيضًا مما برز في لفظه ومعناه، وأورده كثير من الشعراء فأعياه»[123] .

ويبين أن المعاني الطريفة لا يكاد يتناولها حاذق إلّا قصّر، بعد أن أخذت حقّها من اللفظ الذي هو أداة التعبير عن المعنى[124] ، وقد كان يقرن اللفظ بالمعنى في مواضع كثيرة، حين يتحدث عن أبيات الشاعر، وتناقلها بين الشعراء فيقول : «وهذه المعاني كلها متداولة وألفاظها متناقلة»[125]. ويقول في موضع آخر «من مبتذلات الألفاظ ومتداولات المعاني»[126]. وينصّ في مواضع أخرى على أن ترك اللفظ المطروق سبب في جودة الشعر[127] ، ولكن مطلق التشابه في الألفاظ بين شاعرين لا يعني تشابههما، فإن بيت ابن عمار يشبه لفظه لفظ بيت المعرّي وبينهما من البعد ما بين الدرة والحجر الصلد[128] .

(119) الذخيرة: 2/ 1/ 146-148 .
(120) الذخيرة: 1/ 1/ 146 .
(121) الذخيرة: 1/ 1/ 301 ، 303 .
(122) الذخيرة: 2/ 1/ 381 .
(123) الذخيرة: 2/ 1/ 438 .
(124) الذخيرة: 2/ 2/ 705 .
(125) الذخيرة: 6/ 1/ 476 .
(126) الذخيرة: 1/ 2/ 774 .
(127) الذخيرة: 2/ 1/ 148 .
(128) الذخيرة: 2/ 2/ 632 .

وإذا ما تتبع السرقة بين الشعراء أشار إلى أنّ معنى البيت مختلف، ولكن حَذْوَ الكلام واحد[129] .

أما تكرار المعاني وترديدها فهو سبب لابتذالها. ومن أمثلة هذا الحكم أنه ذكر بيتًا لعبادة ابن ماء السّماء وقرّر أنّهُ «معنى قد طوي ونشر، وكسف رواؤه ممّا ابتذل، وأسَن ماؤه مما علّ به ونهل»[130] . وقال في قصيدة ابن عمار الميمية: «أما معاني هذه القصيدة فمحجة مسلوكة ومضغة ملوكة، قد كثر تجاذب الشّعراء أهدابها، وقرعوا بابها، حتى صارت كالجمل المذلل، والمهيع من السبل»[131] .

ويتتبع تكرار المعاني لدى الشاعر الواحد كذلك على نحو ما حصل عند ابن زيدون في قصيدتين رائيتين نظمها في موضوع واحد هو الرثاء، الأولى في رثاء أبي الحزم بن جهور والثانية على رويها ووزنها رثى بها أمّ أبي الوليد بن جهور وكرر أكثر أبياتها، وتلاعب كما يقول ابن بسام في القصيدة تلاعب الحطيئة بنسبه وتصرّف تصرف أبي حنيفة في مذهبه فأنّث وذكّر، وقدم وأخّر[132] .

وقد نبه في مواضع من ذخيرته على المعاني الغريبة على نحو ما أشار إلى قول أحدهم في صفة حمام، خلطه بالنسيب :

ولم أدخل الحمام يوم رحيلهم طلاب نعيم قد رضيت ببوسي
ولكن لتجري دمعتي مطمئنة فأبكي ولا يدري بذاك جليسي[133]

وشهد للمصيصي في بيت أنّه من حسنات شعره وأبين آيات ذكره وهو الذي يقول فيه:

تنهاه عفته عن أمر بطشته فالمشتري عنده قاض على زحل[134]

وليس الاختراع عنده سببًا في جودة المعنى دائمًا، بل قد يكون الاتباع سببًا في ذلك[135] .

---

(129) الذخيرة: 1 /1 /77 .
(130) الذخيرة: 1 /1 /479 .
(131) الذخيرة: 2 /1 /377 وكذلك 2 /2 /632 .
(132) الذخيرة: 1 /1 /392-395 .
(133) الذخيرة: 1 /1 /302 .
(134) الذخيرة: 2 /1 /437-438 .
(135) الذخيرة: 2 /1 /488 .

7 ــ قضية السرقات الأدبية :

وترتبط قضية السرقات الأدبية بقضية اللفظ والمعنى، وارتباطها بالمعنى أشد، كما ترتبط بموضوعات نقدية مختلفة تتمثل فيها صورة العقلية العربية في قوة حافظتها، وذودها عن تراث الأقدمين الفكري، وحفاظًا عليه وفي نزوعها إلى التجديد، ومحاولة خلق شخصية فنية متفردة مبدعة، ولهذا اهتم الباحثون في القديم والحديث بدراستها، وأفردوا لها كتبا كثيرة[136] ...

ورغم أنّ دراسات كثيرة كتبت في هذا المجال، فإنّ ابن بسام في ذخيرته يحتاج إلى نظرة متأنية، في هذا المجال. فقد جاء كتابه بعد مؤلفات كثيرة لنقاد العرب، في موضوع السّرقات، ولكنّه لا يشير إلى هذه الدراسات، ويستخدم ملكته النقدية في هذا المجال، ولسنا بصدد الحديث عن مدى أصالته في هذا الموضوع بقدر رغبتنا في الكشف عن أبعاده في دراسة النصّ الشعري .

لقد تنوعت أحكام ابن بسام في هذا المجال واستخدم ألفاظًا للدلالة على انتقال المعاني بين الشعراء ولم تكن هذه الألفاظ بدلالة واحدة، فقد كان يشير إلى التماثل والتشابه حين يستخدم عبارات في وصف البيت من مثل قوله[137] : «ينظر إلي، ينظر بعض النظر، ينظر من طرف خفي، أشار إلى ، كقول ، كأنه من قول ، من قول ، كرره ، يشبه ، ألمّ به ، يناسب معنى البيت ، أراه احتذى » .

ويقرر في مواضع أخرى حين يكون التشابه أقوى بين الأبيات مستخدمًا لفظة[138] : «أخذه من ، ومنقول عن» . ويصرح بالتأثر المباشر حين يستخدم ألفاظ: «الاستلاب ، والاختطاف ، والنسخ ، والاهتدام ، والاغتصاب » ، وأن من السرقات ما يكون قبيحًا ، ومنها ما يكون مليحًا ، وقد نقل لنا رأي أبي المطرف بن فتوح الذي يعترف فيه بأخذ المعاني : «فمتى رمنا معنى، أطلقنا عليه بزاة البحث، وأخذناه أحسن أخذ، وصدناه دون كلال فهم ولا نبو لسان»[139] .

ولكن ابن بسام بعد أن ينقل لنا كلام ابن فتوح يصفه بأنه كان قبيح الأخذ من الآخرين ، وأنه كثير الاهتدام والاغتصاب والاختطاف والاستلاب[140] .

---

(136) مقالات في النقد الأدبي ص 183 .

(137) تكرّر ورود هذه العبارات في الذّخيرة انظر مثلا: القسم الأوّل 75، 76، 80، 81، 450، 516 والثاني 69، 683، والثالث 508 .

(138) الذخيرة: 1/ 2/ 773، 1/ 2/ 836 .

(139) الذخيرة: 1/ 2/ 770 .

(140) الذخيرة: 1/ 2/ 770 و 4/ 2/ 555 .

وينقل لنا رأي بديع الزمان في التنبيه على الخوارزمي في بيت بالغ فيه السرقة، أخذ وزنه ومعناه وبعض لفظه حيث يقول: «إن كانت قضية القطع تجب في الربع، فما أشدّ شفقي على جوارحه أجمع ولعمري ما هذه سرقة ! إنما هي مكابرة محضة، وأحسب أنّ قائله لو سمع هذا لقال: هذه بضاعتنا ردت إلينا، فحسبت أن ربيعة بن مكدّم وعتيبة بن الحارث ما كانا يستحلّان من النهب ما استحله إنما كانا يأخذان جلّه، وهذا الفاضل قد أخذه كله»(141).

ويصف ابن بسام بعض السرقات بأنّها غريبة وذلك في عجز بيت ابن عبدون.

وعاون على استنجاز طبع بهيَّة ترقص في ألفاظهـــن المعانيـــــا

ويعلل ذلك بقوله «تدق عن أعداد من المباني، وأنها من خفيّات المعاني»(142) فقد أخذه من قول إدريس بن اليمان وقد ملح فيه وزاد.

ويفهم من تعقّبه للسرقات أن الشعراء متفاوتون، فمنهم من كان ينسج المعنى وينقص عنه(143)، ومنهم من كان يزيد على المعنى، فيقول فيه: «مما شرحه وأوضحه»(144)، وأحيانًا تبلغ براعة الشاعر أن يأخذ المعنى، ويزيد عليه، حتى يكاد يخفيه(145)، وأحيانًا يأخذه ويقلبه(146).

وعلى نحو ما أشار إلى ولع ابن فتوح بالسّرقة، فإنّه أشار إلى أنّ أبا العلاء صاعد البغدادي الشاعر المشرقي الذي قدم إلى الأندلس كان يسرق من شعراء الشام والعراق وافتضح أمره بذلك(147).

ولا يقول ابن بسام بأنّ جميع أوجه التشابه تدخل في باب السّرقات، بل يعزو بعضها إلى توارد الخواطر، فقد قرر هذه الحقيقة في مقدمة كتابه «ولست أقول: أخذ هذا من هذا قولًا مطلقًا، فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر على الحافر، إذ الشعر ميدان والشعراء فرسان»(148) لا سيما إذ كان الشاعران أبناء عصر وبلد واحد. فقد حكم على بيت لابن شرف القيرواني

(141) الذخيرة: 1/ 2/ 773-774.
(142) الذخيرة: 2/ 2/ 692.
(143) الذخيرة: 1/ 1/ 377، 2/ 1/ 163.
(144) الذخيرة: 1/ 1/ 79.
(145) الذخيرة: 1/ 1/ 80.
(146) الذخيرة: 1/ 1/ 265.
(147) الذخيرة: 4/ 1/ 25.
(148) الذخيرة: 1/ 1/ 19.

(ت 460 /1067) على أنّه مما توارد فيه على لدته وابن بلدته ابن رشيق[149] ، كما حكم على بيتي ابن زيدون في بني جهور اللّذين يقول فيهما:

بني جهور أُحرقتم بجفائكم جَناني فما بال المدائح تُعبَقُ ؟
تعدونني كالمندل الرطب إنما تطيب لكم أنفاسه حين يُحْرقُ

على أنها مما توارد فيه مع ابن رشيق القيرواني كذلك[150] .

وحكمه على بيت ابن الحناط :

إذا انتضى سيفَه مُعلمًا لم تدرِ أَيُهما الصّارِمُ

مما جاء في معناه لدى كثير من الشعراء،أورد أشعار ستّة منهم ، ثم حكم على أنه من متداولات المعاني[151] ، ولا يكاد يجزم بحكمه دائمًا فيقول : «ولعل هذا توارد من الطّباع»[152] .

ومن الدراسات المتخصصة في نقد الشعر الأندلسي في القرن 5 /11 ، دراسة الدكتور مصطفى عليان التي أولت قضية السّرقات عنايتها في مواضع كثيرة، وأشارت إلى أكثر الاصطلاحات الخاصة بالسّرقة التي استخدمها الأندلسيون[153] .

ونظر الدكتور حسن خريوش إلى السرقات عند ابن بسام على أنّها واحدة من ثلاثة: 1. معان قديمة متداولة ـــ 2. معان تتميز بأنها قليلة الدّوران على الألسنة ـــ 3. معان جديدة مخترعة.وفي القسم الأول لا تكون سرقة، وفي الثاني يكون الأخذ بزيادة تظهر، وفي الثالث ، تكون عزيزة . /.

---

(149) الذخيرة: 4 /1 /225 .
(150) الذخيرة: 1 /1 /354 .
(151) الذخيرة: 1 /1 /442 .
(152) الذخيرة: 2 /2 /707 .
(153) تيارات النّقد : 451-453 .

من أكاذيب أهل اللّغة

كان صاعد البغدادي[1] شديد البديهة في ادّعاء الباطل. قال له المنصور[2] يومًا: ما الخنشبار؟ فقال : حشيشة يُعقد بها اللّبن ببادية الأعراب، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لَقَدْ عُقِدَتْ محبّتها بقلبي كَمَا عُقِد الحليب بخنشبار

وقال له يوما . وقد قدّم إليه طبق فيه تمر: ما التَّمْرُكُل في كلام العرب؟ فقال تمركل الرّجل تمركلا إذا التفّ في كسائه. وكان مع ذلك عالما[3].

وسألوا المنصور في تجليد كراريس بياض تزال جدّتها حتّى توهم القدم، وترجم عليه كتاب «النّكت.» تأليف أبي الغوث الصّنعاني، فترامى إليه صاعد حين رآه، وجعل يقلبه، وقال: إي والله، قرأته بالبلد الفلاني على الشّيخ أبي فلان، فأخذه المنصور من يده خوفا أن يفتحه، وقال له: إن كنت قد قرأته كما تزعم، فعلامَ يحتوي؟ فقال: وأبيك لقد بعد عهدي به، ولا أحفظ الآن منه شيئا، ولكنّه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور: أبعد الله مثلك ! فما رأيت أكذب منك، وأمر بإخراجه، وأن يقذف كتاب «الفصوص» في النّهر. فقال فيه بعض الشّعراء:

قَدْ غَاصَ فِي النَّهْرِ كِتَابُ الفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ

فأجابه صاعد :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ، إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ البِحَارِ الفُصُوصُ

المقّري: نفح الطيب: 3 /78، 81

---

(1) صاعد البغدادي: عالم باللغة والأدب، وكان كاتبا وشاعرًا. ولد بالموصل ونشأ ببغداد وانتقل إلى الأندلس حوالي سنة 380 /990 فأكرمه الحاجب القويّ بقرطبة المنصور بن أبي عامر. توفّي بصقليّة 417 /1026 (الأعلام: 3 /271) .

(2) المنصور بن أبي عامر: استطاع ، بعد أن تولّى الحجابة للخليفة هشام المؤيد، أن يجمع كلّ السّلطات بيده في قرطبة. وأصبح منصب الخلافة منصبا شكليًا في عهده. حكم 26 سنة غزا فيها شمال إسبانيا 56 مرّة لم ينهزم له فيها جيش. توفّي 392 /1002 (الأعلام : 7 /99) .

استشعار نهاية الأندلس
في ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي

بقلم الأستاذة : حسناء الطرابلسي بوزويتة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — تونس

حظي الأدب الأندلسي بعناية الدارسين والنقاد من عرب ومستشرقين فتداولوا آثاره بالتحقيق والنشر، والدراسة والنقد، وكثر المتخصصون فيه. ولكن بقيت فيه فترة غامضة بعض الغموض، وهي فترة القرون الإسلامية الأخيرة، وعلى وجه التدقيق القرنين الأخيرين في تاريخ الأندلس العربية المسلمة. ولئن اعتمدت الوثائق التاريخية في دراسته، فإنه لم يتيسّر للباحثين تكميل الدراسة باعتماد النّصوص الأدبية، لأسباب عديدة أهمّها أنّ معظم النّصوص التي كتبت في هذه الفترة لم تحقق إلا أخيرا، وبعضها لم ينشر بعد بين الناس.

والمتأمل في تاريخ الأندلس يتبيّن في المرحلة الأخيرة من هذا التاريخ فترة استقرار سياسي نسبي. ونعني بالمرحلة الأخيرة عهد دولة النّصريين في غرناطة[1] . فقد سقطت الإمارات والعواصم الأندلسية واحدة فواحدة في أيدي الإسبان وتقلّصت مساحة الأندلس الإسلامية إلى أن اقتصرت على إمارة غرناطة وحدها، وهي المنطقة الواقعة ما بين المريّة وجبل طارق على ساحل البحر الأبيض المتوسط والتي لا تتجاوز شرقا وشمالا مدينة بسطة وجبال رندة وألبيرة. وقد قامت دولة بني الأحمر على رأس هذه الإمارة الصغيرة سنة 635 هـ ، وقلّ بمقتضى ذلك التناحر على السلطة إذ صار محصورا في أسرة بني الأحمر وفي عرش غرناطة وحدها. فعرفت البلاد نوعا من الاستقرار الداخلي. ورافق هذا الاستقرار ازدهار أدبي وفكري نسبي تجلّى خاصة في القرنين الأخيرين 8 /14 و9 /15. فنبغ فيهما عدد من الأعلام في ميادين الشعر والأدب والفقه وعلوم الدين. ولا شك أنّ آخرهم وخاتم شعراء الأندلس عموما عبد الكريم القيسي شاعر بسطة الذي عاش إلى ما بعد سنة 890 /1485[2] .

(1) دامت دولة بني الأحمر في غرناطة من سنة 635 هـ / 38 — 1237 م إلى سقوط غرناطة سنة 897 هـ 1492 وبقيت طيلة تلك المدة دولة الإسلام الوحيدة في الأندلس. ومؤسسها هو محمد الأول الغالب بالله . (دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية — الجزء الأول ص . 510) .

(2) ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي تحقيق د. جمعة شيخة ود. محمد الهادي الطرابلسي .

فهو إذن قد عايش الأندلس في أيامها الأخيرة ورافق وطنه السّليب في فترة الاحتضار ونعى إلينا مدنه وحصونه مدينة فمدينة وحصنا فحصنا. فشهادته إذن ثمينة وطريفة لأنها شهادة عيان ولأنها ليست شهادة طرف أجنبي يكتفي بمعاينة الأحداث وتسجليها، بل هي شهادة إنسان معني بالدرجة الأولى، إنسان يشاهد وطنه يتمزق إربا إربا ويقع شيئا فشيئا في قبضة العدوّ المسيحي. وكل رقعة تضيع من أيدي المسلمين تتحول قسرا إلى أرض مسيحية معادية. لذلك، فإنّ مصيبة القيسي عظيمة وتفجعه كبير.

ونظرا إلى قيمة هذه الشّهادة وندرة مثل هذه التجربة، حرصنا على تقصّي ديوان عبد الكريم القيسي لنتبيّن كيف استشعر نهاية الأندلس في شعره، وكيف عاش هو ومعاصروه هذه المرحلة العصيبة من تاريخ الأندلس أي مرحلة النّهاية ولحظات الاحتضار.

ولكن قبل ذلك، رأينا أن نلقي بعض الأضواء على ناحية هامّة في الديوان سخّر لها الشاعر جانبا كبيرا من اهتمامه وشعره، ولها صلة متينة بموضوعنا وهي وصف الأوضاع الاجتماعية السائدة، في عصره. ذلك أنّ ديوان القيسي وثيقة أدبية تاريخية، اجتماعية،[3] إذ أنّه اهتمّ بتصوير حياته وحياة معاصريه في مختلف وجوهها وأدقّ دقائقها تصويرا كثيرا ما يتخذ صبغة الشّكوى والتذمّر والاستياء من فساد الأوضاع وضياع الدين واختلال القيم. ولئن كان الشاعر يخصّ بتصويره ذاك بسطة وسكانها فإنّ ما ينطبق على بسطة ينطبق ولا شك على البقية الباقية من مدن الأندلس. لهذه الأسباب أفردنا القسم الأول من بحثنا لتصوير فساد الأوضاع ببسطة وضياع الدّين واختلال القيم.

1. فساد الأوضاع ببسطة وضياع الدين واختلال القيم :

كثيرا ما تطرق القيسي في ديوانه إلى وصف الوضع الاجتماعي السائد في مجتمعه وبيئته وخاصة في موطنه بسطة. فإذا بهذا الوضع يتميز بالفساد والانحلال. ذلك أنّ ضيق رقعة البلاد وتقلص هذه الرقعة يوما بعد يوم، وتضاؤل موارد الدولة وانسداد أبواب الرزق في وجوه النّاس بسبب هجمات العدو وغزواته جعل الأوضاع الاجتماعية تتردّى وتنخرم، والانحلال المادي والمعنوي يعم وينتشر. وقد وردت هذه المعاني في قصائد عديدة متفرقة في الديوان. إذ أنّ الشاعر انشغل كثيرا بهذه الظاهرة واعتنى في جملة من قصائده بوصف ظاهرة الانحلال المادّي في البلاد. فهو يعبر عن كرهه لمدينة بسطة رغم أنّها موطنه ومسقط رأسه، وعزمه على الرحيل عنها لفساد أخلاق أهلها فلم يعد للصداقة عنهدم حقّ، ولا لأمر الإمام نفاذ، ولا لحكم الشرع حرمة، يقول :[4]

(3) انظر مقال د. جمعة شيخة: القيمة الوثائقية لديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ــ حوليّات الجامعة التونسية عدد 27 ــ 1988 ص 119 .

(4) الدّيوان : ق 49 ــ ص 127 .

[طويل]

فَقَدْ سَئِمَتْ نَفْسِي الْمُقَامَ بِبَلْدَةٍ ... تُغَيِّرَ فِيهَا مَنْ تَخِذْتُ خَلِيلَا
وَأَبْدَى عُبُوسَ الْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ بِشْرِهِ ... وَصَيَّرَ لِي الوِدُّ الصَّحِيحَ عَلِيلَا
وَلَمْ يَلْتَفِتْ أَمْرَ الإِمَامِ وَحُكْمَهُ ... وَرَدَّ حُسَامَ العِزِّ مِنْهُ فَلِيلَا
وَلَمْ يَرْعَ حُكْمَ الشَّرْعِ فِي ذَاكَ عَامِدًا ... وَكَانَ بِرَغْمِ الشَّرْعِ فِيهِ كَفِيلَا

كما أنّ امتناع الحقّ فيها وانتشار الظلم الذّميم جعله يعزم على الرحيل عنها، ويقرّ العزم على ذلك علّه يظفر بمقرّ يعترف فيه سكّانه للرّجال بالمنزلة والفضل، ويلاقي فيه الإنسان السعد والأنس والتنعم وهي معان اختفت كلّها من مدينة بسطة، وأخلاق افتقر إليها أهلها إذ يقول في نفس القصيدة(5) .

فَإِنَّ مِنَ الْعَجْزِ الثَّوَاءَ بِمَوْطِنٍ ... يَكُونُ بِهِ الظُّلْمُ الذَّمِيمُ نَزِيلَا

ثم يقول :

لَعَلَّ الَّذِي أَلْقَاهُ يَذْهَبُ جُمْلَةً ... وَأُبْصِرُ وَجْهًا لِلسُّرُورِ جَمِيلَا
بِلُقْيَا رِجَالٍ فِي مَوَاطِنَ طَالَمَا ... بَنَتْ وَبَنَوا فَخْرَ الرِّجَالِ أَثِيلَا
وَأَلْفِي لَدَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُمْ بِأَرْضِهِمْ ... مِنَ الْفَضْلِ حَظًّا فِي النُّفُوسِ جَزِيلَا

ولئن بدا مجملا معمّما في هذه المقطوعة، فإنّنا نجده في مقطوعات أخرى أكثر تفصيلا وتدقيقا فيخصّ كلّ مقطوعة بإثارة قضية من القضايا، ووصف وجه من وجوه الفساد والانخرام التي سادت البلدة آنذاك، فيقول في المقطوعة التي خاطب بها القاضي أبا عمرو بن منظور(6) واصفا وضعية الأحباس وداعيا إيّاه إلى النّظر في أمرها واتّقاء الله في شأنها :

[البسيط](7)

يَا أَيُّهَا الْمَاجِدُ الْمَأْمُولُ جَانِبُهُ ... لِحِفْظِ الأَحْبَاسِ مِنْ عَادٍ وَمُفْتَرِسِ
اللهَ فِيهَا فَقَدْ ضَاعَتْ وَقَدْ خَرِبَتْ ... وَأَصْبَحَتْ فِي عِدَادِ الأَرْبُعِ الدُّرُسِ

(5) ق 49 ، ص 128 .
(6) هو أحد رجالات دولة بني الأحمر في النّصف الثاني من القرن 9 /15 ، تولّى قضاء مدينتي مالقة وبسطة كما تولى قضاء الجماعة بغرناطة (الديوان ص. 493) .
(7) ق 161 ــ ص 273 .

كما يدعوه إلى تعيين مشرفين عليها يتصفون بالشرف والطهر حتى يحفظوا حقوقها ويردوها إلى مستحقيها يقول :[8]

وَقَدْ أَتَتْكَ بِمَا تَلْقَاهُ شَاكِيَةً   مَعَ أَنَّهَا وُصِفَتْ بِالعِيِّ وَالْخَرَسِ
وَمُشْرِفًا وَشَهِيدَيْنِ انْظُرَنْ لَهَا   وَنَاظِرًا طَاهِرَ الأَعْرَاضِ مِنْ دَنَسِ

هذا يدلّ على حالة التّدهور والإهمال التي آلت إليها الأوقاف في دولة بني نصر. وهذه الحالة لم تلحق الأوقاف فحسب بل عمت كذلك المساجد، بيوت الله ومعقل الدين، فتعطّلت وظائفها وتوقّف فيها كل نشاط بعد أن كانت قلب البلاد النّابض ومصدر الحركة والحياة فيها، وحكم على أيمّتها وقرّائها وفقهائها بالبطالة. وهذا أعظم نذير بالشرّ وأكبر دليل على قرب النهاية، وعلى أنّ القيسي شهد آخر أيام الأندلس وصوّرها لنا وهي في النزع الأخير. ومن الأدلة على ذلك أنّه ذكر بصريح العبارة في تقديمه النثري لمقطوعة من آخر ما ورد في الديوان حادثة تعطيل وظائف الجامع الأعظم بمدينة بسطة. وقد قال في ذلك: «وقلت عند الحادثة المعلومة العائدة على الجامع بتعطيل وظائفه[9]» . وهذه الوضعية المتردّية التي آلت إليها المساجد والمؤسسات والخطط الدينيّة انعكست سلبياتها مباشرة على حياة النّاس عامة وحياة شاعرنا خاصة. فهو فقيه يرتزق من الإقراء والتّوثيق وخطبة الجمعة وغيرها من الخطط الدينية. وبتعطيل هذه الوظائف تعطّل مورد رزقه وأصبح مهدّدا في حياته وفي كيانه. وقد اشتكى من ذلك في مقطوعة صدّر بها رسالة وفيها يقول : [الطويل][10]

إِلَى ٱللهِ نَشْكُو مَا نُلاقِي مِنَ ٱلأَذَى   فَمِنَّة عَلَى ٱلأَعْدَاءِ نَلْتَمِسُ النَّصْرَا
فَقَدْ أَفْرَطُوا فِي ظُلْمِنَا واهْتِضَامِنَا   وَجَاوُوا بِأَمْرٍ لَا نُطِيقُ لَهُ صَبْرَا
قَرَأْنَا وَبِٱلتَّوْفِيقِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ   فَقَدْ عَطَّلُوا التَّوْثِيقَ وَٱطَّرَحُوا الإِقْرَا

وليس غيره من الفقهاء بأحسن حالا منه، بل إنّ أوضاعهم صارت إلى درجة من التّدهور المادّي والمعنوي دفعت بالشّاعر إلى المقارنة بين وضعية الفقيه ووضعية الكلب والخروج باستنتاج غريب هو أنّ الكلب أعلى وأشرف منزلة ببسطة من الفقيه يقول :
[مجزوء الكامل][11]

أَلْكَلْبُ صَارَ بِبَسْطَةٍ   أَعْلَى وَأَشْرَفَ مِنْ فَقِيهْ
أَنَّى فَقِيهٍ يَعْتَلِي   لِمَحَلِّهِ أَوْ يَرْتَقِيهْ

---

(8) ق 161 ص 273 .
(9) ق 312 ص 466 .
(10) ق 170 ص 282 .
(11) ق 189 ص 311 .

وليس أدلّ على ذلك من كون أهل بسطة صاروا يكرمون اللّئام ويهينون قراء القرآن وفي ذلك يقول : [الخفيف][12]

لَا رَعَى ٱللَّهُ بَسْطَةً وَأُنَاسًا بِحِمَاهَا أُضْحَوْا مِنَ ٱلسُّكَّانِ
فَلَقَدْ أُكْرِمُوا ٱللِّئَامَ افْتِخَارًا وَأَهَانُوا القُرَّاءَ لِلْقُرْآنِ

هذا الانحلال المادّي الذي شمل مدينة بسطة ومساجدها ومؤسساتها تبعه انحلال أدبي شمل الدين والمبادىء والقيم وأنظمة البلاد. وما يقال عن بسطة يقال، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، عن سائر بلاد الأندلس وبالتّحديد عما تبقى منها في حوزة المسلمين.

ويتجلّى هذا الانحلال الأدبي في فساد الأحكام إذ لم تعد مستمدة من الدين ولا خاضعة له. وذلك ناتج عن تولية من ليس أهلا بالولاية وتقديم من لا يستحقّ التّقديم، يقول في ذلك : [الطويل][13]

تَعَطَّفْ عَلَى ٱلْأَحْكَامِ وَاسْتَبْقِ رَسْمَهَا بِإِنْقَاذِهَا مِمَّنْ بِهَا ٱلْيَوْمَ يَلْعَبُ
فَقَدْ سُلِبَتْ فِي بَسْطَةٍ أَصْلَ وَضْعِهَا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُ تُسْلَبُ

وهؤلاء الولاة الذين ليسوا أهلا للولاية، وهؤلاء القضاة الذين لا يصلحون للقضاء أصبحوا يصدرون الأحكام جزافا لا يرعون فيها للدين حرمة أو اعتبارا، ولا يهتمون بإثبات حقّ أو إقامة عدل. فجاءت أحكامهم جائرة منافية للدين، ومع ذلك فهي سارية المفعول. ولم يسكت الشاعر عن ذلك بل ثار وغضب وانتقد وهجا ولم يتورع عن تسمية هؤلاء الضالين الظالمين بأسمائهم في بعض الأحيان، كهذا القاضي الذي حوّل المساجد سجونا وأباح النكاح بلا صداق فبلغ في الاستهتار بالدين ومعالمه، أقصى الحدود. يقول في ذلك : [الكامل][14]

تَبًّا لِقَاضِي بَسْطَةَ ابْنِ مُفَضَّلٍ تَبًّا لَهُ فِيمَا يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
فَلَقَدْ أَتَى مِنْ حُكْمِهِ بِعَجَائِبٍ أَمْثَالُهَا فِي عَصْرِنَا لَمْ تُعْهَدِ
فَالسِّجْنُ عِنْدَ سِوَاهُ مَعْرُوفُ ٱلْمَحَلِّ وَعِنْدَهُ فَالسِّجْنُ جَوْفُ ٱلْمَسْجِدِ
وَيَرَى النِّكَاحَ بِلَا صَدَاقٍ جَائِزًا رَأْيَ ٱلْغَوِيِّ الْجَاهِلِيِّ الْمُلْحِدِ
وَيُغَيِّرُ ٱلْأَحْكَامَ عَمَّا أُصِّلَتْ تَغْيِيرَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مُعْتَدِ

(12) ق 188 ص 310 .
(13) ق 184 ص 303 .
(14) ق 140 ص 243 .

ويواصل انتقاده للقضاة فيقول في موطن آخر :

[الكامل][15]

يَا أَهْلَ بَسْطَةَ دَعْوَةٌ مِنْ مُشْفِقٍ ... لَوْ فِيكُمْ لِدُعَائِهِ مَنْ يَسْمَعُ
إِنَّ الْقَضَاءَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ ... مَا قَطُّ قَامَ بِحَقِّهَا مَنْ يَطْمَعُ
وَأَرَى ٱلَّذِي وَلِيَ الْقَضَاءَ بِمِصْرِكُمْ ... قَدْ صَارَ يَطْمَعُ بِالْقَضَاءِ وَيَجْمَعُ

هؤلاء القضاة المفسدون في الأرض غيّروا وجه الدين، بل عكسوا آياته وقلبوا عباراته، وبدل أن يسمو بهم فيستمدون منه النّور الذي يضيء طريقهم ، والحكم العادل الذي يلمّ صفوفهم ، وكلمة الحقّ التي تجمع شتاتهم في فترة عصيبة أحدقت فيها الأخطار بهم وهددت كيانهم، إذا بهم ينحطّون به ويفسدون أحكامه ويجعلونه أداة طيّعة في يد أهوائهم وشهواتهم فيصبح «دونا» لا دينا، وفي ذلك يقول القيسي مخاطبا بعض أصحابه:

[البسيط][16]

أُنْسُ وَلَوْ بِكِتَابٍ مِنْكَ مَهْمُومَا ... يَرَى بِبَسْطَةَ رَيِّ الْعَيْشِ مَذْمُومَا
أَضْحَى إِمَامًا بِهَا لَوْ لَمْ يَجُزْ زَمَنٌ ... أَعَادَهُ بِتَوَالِي الْجَوْرِ مَأْمُومَا
غَدَا وَأَفْرَطَ حَتَّى ٱلدِّينَ غَيَّرَهُ ... فَدَالُهُ بَعْدَ الْكَسْرِ مَضْمُومَا

فانتصر الظلم وعمّ الجور ولم يبق للعدل من أثر، وأضحى «بارد العيش» غسلينا ويحموما، بعبارة الشاعر، إذ يقول في المقطوعة ذاتها[17] :

كَمْ شَمَّ فِيهَا لِطِيبِ الْعَدْلِ مِنْ أَرَجٍ ... وَمَا سِوَى الْجَوْرِ يُلْفَى الآنَ مَشْمُومَا
فَبَارِدُ الْعَيْشِ فِيهَا الْيَوْمَ يَحْسِبُهُ ... لِضَيْعَةِ الْحَقِّ غِسْلِينًا وَيَحْمُومَا

على أن الشّاعر، وإن اعتراه اليأس في مواطن كثيرة وتملكه الشعور بأنّ الأوضاع وصلت إلى درجة من الفساد والتردّي اندثر معها كل أمل في إمكانية الإصلاح ، فإنّه ، في مواطن أخرى، لا يدخر جهدا في محاولة تنبيه قومه، وبعث الوعي في نفوسهم، وخاصة في محاولة إيقاظ همم أهل الخير والحقّ الذين لم تخل البلاد من جميعهم. لذلك كلما ولي في البلاد قاض

(15) ق 165 ص 277 .
(16) ق 163 ص 275 .
(17) ق 163 ص 275 .

جديد، اتجه إليه الشّاعر مادحا، ممجّدا، حاثا إيّاه على معالجة الأوضاع بإقامة الحق وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الدين الذي تداعى على أيدي المنافقين الظالمين، فيقول:

[الخفيف][18]

يَا وَحِيدَ الزَّمَانِ دِينًا وَفَضْلًا ... وَجَلَالًا وَفِي الْعُلُومِ اتِّسَاعَا
أَيُّ ذُلٍّ أَصَابَنَا بَيْنَ قَوْمٍ ... أَهْمَلُوا الدِّينَ عَنْ نِفَاقٍ فَضَاعَا
رَفَعُوا الْبَاطِلَ الْمُذَمَّمَ فِينَا ... وَغَدَا فِينَا الْحَقُّ مَا إِنْ يُرَاعَى
دَعْوَةَ الْفَضْلِ مِنْكَ لِلدِّينِ نَرْجُو ... هَا هُنَا إِنَّ رُكْنَهُ قَدْ تَدَاعَى

ذلك أنّ عبد الكريم القيسي أحسّ إحساسا دقيقا بأنّ الخطر الذي يتهدد أهل الأندلس إنّما يتهدّدهم في دينهم وفي كيانهم كعرب مسلمين. لذلك وجب عليهم أن يتشبّثوا بهذا الدين ويتمسكوا بأصوله ويستمدوا منه القوة في مواجهة الكفّار والصمود أمامهم. فيكون الدين وسيلة دفع ودفاع، ويدافعون عنه ويدفعون به الخطر المحدق، لذلك، يواصل، في المقطوعة ذاتها، قائلا[19] .

فَتَفَضَّلْ بِهَا عَلَى ظَهْرِ غَيْبٍ ... تَتَّخِذْ لِمَا نَخَافُ دِفَاعَا
وَاعْتَمِدْ وَصْلَهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ ... فَبِهَا لِلْخُطُوبِ نَرْجُو انْقِطَاعَا

وكم كان حريّا بأهل الأندلس أن يجمعوا شتاتهم ويوحدوا كلمتهم ويلملموا صفوفهم، فالخطر يحدق بهم من كلّ حدب وصوب والأعداء تألّبوا عليهم، وضيقوا عليهم الخناق، ولم يعد لهم من همّ إلا القضاء عليهم وإجلاؤهم عن أرضهم. فالقضيّة لم تعد قضية مناوشات على الحدود أو قضية غارات وغزوات متفرقة قد ينتصر فيها هذا الطرف أو ذاك، بل أصبحت قضية حياة أو موت وصار أهل الأندلس يعيشون في رعب وفزع، ويحسّون أنّهم مهدّدون في كيانهم. وقد صور عبد الكريم القيسي ذلك في ديوانه أحسن تصوير.

2. تصوير حالة الرعب والفزع التي كان أهل الأندلس يعيشونها في تلك الفترة:

إنّ الإحساس بعدم الأمن وعدم الاستقرار إحساس ملازم للشاعر لا يكاد يفارقه في حلّه وترحاله، وذلك لما أسلفنا بيانه من ضعف السّلطة وجور الحكام وفساد الأحكام. ولكن إلى كل هذه الأسباب الداخلية يضاف سبب خارجي أخطر وأدهى، وهو العدو المتربص على الحدود والذي أصبح يسدد ضرباته متتالية لا هوادة فيها، يريد أن يجهز على هذا العليل الذي

(18) ق 162 ص 274 .
(19) ق 162 ص 274 .

نخره الداء من الداخل وهيأ له فريسة سائغة أخذ يلتهمها قطعة فقطعة، فيستولي على مدن الأندلس وحصونها مدينة فمدينة وحصنا فحصنا، ويلقي في كل مرة الرعب والفزع في قلوب أهلها، حتى حالت حياتهم رعبا مطردا وفزعا متواصلا .

هذه المعاني نجدها مبثوثة في الديوان بأكمله، ولكن التعبير عنها تعبيرا جليًا واضحا، وتصويرها تصويرا صريحا دقيقا تجلى خاصة في مقطوعتين من الشعر وفي نص نثري.

وقد رأينا أن نقف عند هذه النصوص الثلاثة وقفة طويلة نسبيًا نظرا الى أهمّيتها بالنّسبة إلى موضوعنا، ونظرا إلى الشّحنة العاطفيّة الكامنة فيها. فهي على قصرها وقلة عددها بالقياس إلى قصائد الديوان، تكاد العبارة فيها تتفجر رعبا وفزعا حينا، وحسرة وألما وإحساسا بالضعف والعجز حينا آخر .

استهلّ القيسي المقطوعة الأولى وتتركب من ستة أبيات بقوله :

[المتقارب][20]

مُصَابٌ عَظِيمٌ دُهِمْنَا بِهِ   بِهَذِي الدِّيَارِ وَخَطْبٌ طَرَقْ
هَجَرْنَا المَضَاجِعَ مِنْ أَجْلِهِ   وَأَجْفَانُنَا اكْتَحَلَتْ بِالأَرَقْ
وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا امْرُؤٌ قَدْ نَرَاهُ   بِذَا القُطْرِ إِلَّا اعْتَرَاهُ الفَرَقْ

«مصاب عظيم» بهذه العبارة المشحونة همّا وأسى استهل مقطوعته. وقد صدر بها البيت وحذف المسند إليه وهو الضمير «هو» ليبرزها ويلفت إليها انتباه السامع والقارىء. فليست غاية الشاعر الإخبار المجرّد، بل التّحسيس بثقل المصيبة. وليست غاية الشاعر إصدار بلاغ عسكري، بل التّعبير عن الانزعاج والتفجّع، لأنّ الخطب الذي حلّ بهم، هو، على ما يبدو، غزوة عسكرية ليلية كما يدل على ذلك قوله: «وخطب طرق». وليس هدف العدو منها مجرد السلب والنّهب، بل هدفه إجلاؤهم عن أرضهم ــ وقد استعمل القيسي هذه العبارة بالذات في المقطوعة الموالية ــ وإخراجهم من ديارهم والاستيلاء على أرضهم. لذلك كان الهجوم عنيفا ورغبة الإبادة والتحطيم واضحة إذ يقول[21] :

لِهَذَا العَدُوِّ الَّذِي أَمَّنَا   حَرَقَ الزَّرْعِ فِي أَرْضِنَا فَاحْتَرَقْ
وَحَازَ مِنَ السَّبْيِ فَوْقَ المُنَى   وَكَمْ مُسْلِمٍ دَمَهُ قد هرق

(20) ق 171 ص 283 .
(21) ق 171 ص 283 .

فالقضية قضية وطن ودين، ويؤكد ذلك قوله: «في أرضنا» و«كم مسلم»، والأندلسي صار مهددا في وطنه ودينه. والعدوّ أضحى يطارده في عقر داره، فيحرق الزرع ويسبي ويقتل ويريق الدماء. والأدهى والأمرّ أنّ هذه الهجمات أصبحت شرّا يتهدّد أهل الأندلس في كل آن وحين وفي كل نقطة من بلادهم، ولم تسلم حتّى غرناطة العاصمة من هذا البلاء ، فهو يقول[22] :

وَمَـا خَرَقَ الْيَـوْمَ فِي بَسْطَـةٍ   بِغَرْنَاطَـةٍ مِثْلَـهُ مَا خَرَقْ

فكأنّي بالشّاعر يحسّ إحساسا دقيقا أنّ وطنه في النّزع الأخير، وأنّه يعالج سكرات الموت تحت ضربات عدوّ قويّ جبّار لا يرحم .

وفي النص الثاني ، لا يبقى مجال للشكّ في أنّ الشاعر يصف وطنا يعالج سكرات الموت، وطنا في حال احتضار. ولا نشكّ في أنّ الشّاعر مدرك لذلك تمام الإدراك. ويتجلّى هذا الإدراك في الجملة النثرية التي قدم بها لهذا القصيد حيث قال: «وقلت أيضا في الغرض الظاهر من النظم» فهو لفرط تسلط، هذا الإحساس عليه ، لم يرَ داعيا إلى تعيين الغرض، بل ترك القصيد يفصح بنفسه عن نفسه. ثم نجده يخصّص الأبيات الستّة الأولى من القصيد لذكر الله وتمجيده والتغنّي به مثل الصوفية، مستعملا في ذلك أسلوب الترديد. فردّد التركيب الدعائي في مستهلّ الأبيات الثلاثة الأولى وهو قوله : « يا من إذا ... » وردّد ذكر الله ممجّدا إيّاه ، معدّدا صفاته ، وردّد ذكر المصائب الجمّة التي حلت به وبقومه مستعملا لها في كل مرة اسما جديدا. فهي : «الأزمات» و«الكربات» و«الكروب» و«الحادثات» مع ملاحظة أنّ الأسماء الثلاثة الأخيرة وردت كلها في بيت واحد، وهي «العظيمة» و«الملمة» و«الخطب». وكأنّ الأسماء كلّها لا تفي بوصف حالهم مع المصائب والمحن وتصوير ما آلوا إليه، يقول :

[الكـامل][23]

يَا مَنْ إِذَا يُدْعَى يُجِيبُ تَفَضُّلاً   وَإِذَا لَهُ يُشْكَى يَحِنُّ وَيَعْطِفُ
يَا مَنْ إِذَا الأَزَمَاتُ عَمَّتْ لَمْ يَزَلْ   بِالْخَلْقِ يَرْفُقُ بِالْجَمِيعِ وَيَلْطُفُ
يَا مَنْ إِذَا الْكُرُبَاتُ حَلَّتْ لَمْ يَزَلْ   يَكْفِي الْكُرُوبَ الْحَادِثَاتِ وَيَكْشِفُ

ويقول كذلك ، مدخلا بعض التغيير على لفظ التّرديد[24] :

أَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ   حَلَّتْ بِنَا مِنْ أَجْلِهَا نَتَخَوَّفُ
أَنْتَ الَّذِي تُلْفَى لِكُلِّ مُلِمَّةٍ   تَنْفِي الَّذِي مِنْهَا الْـمُ وَتَصْرِفُ
أَنْتَ الرَّجَا فَبِلاَدُنَا حَالَتْ لِمَا   نَلْقَاهُ مِنْ خَطْبِ الْعُدَاةِ وَنَأْلَفُ

(22) نفس القصيدة السّابقة .

(23) ق 178 ص 295 .

(24) ق 178 ص 295 .

فالتّرديد في هذه الأبيات شمل اللفظ والتركيب والمعنى .

أما في البيت الموالي فقد اقتصر على التركيب فقط إذ يقول[25] :

فَقُلُوبُنَـــا لِلْخَـــوْفِ جَمٌّ خَفْقُهَـــا وَجُفُونُنَـــا لِلدَّمْـــعِ مَا إِنْ تَطْـــرِفُ

وأسلوب التّرديد هذا أضفى على المعاني صِبْغَة الابتهالات الصوفية الصادرة عن إنسان تراكمت عليه المصائب برّحت به الآلام فلم يجد له من ملجأ إليه وملاذ يلوذ به سوى ذات الله يتضرّع إليها ويمجدّها ويستمدّ منها الصبر والقدرة على الصمود والثّبات. خاصة وأنّ عدوّهم عدوّ لدود، والقضية بينهم وبينه قضية مصيرية. إذ أنّ هذا العدو يروم طردهم من أرضهم وإجلاءهم عنها ومحو كل أثر للدين الإسلامي فيها — يقول[26] :

عَزَمُـوا عَلَى إِجْلَائِنَا عَنْ أَرْضِنَـــا مِنْ بَعْدِمَا اجْتَمَعُوا لَنَـــا وَتَأَلَّفُـــوا
وَتَطَلَّعُـــوا فِرَقًـــا لِهَـــدْمِ مَعَالِـــمٍ لِلدِّينِ شِيدَ بِنَاؤُهَـــا وَاسْتَشْرَفُـــوا

ومما يزيد العبارة تأثيرا والكلمة وزنا أنّ مصيبة الشّاعر ليست مصيبة فردية، بل هي مأساة أمّة بأسرها، ومحنة وطن بأكمله. مأساة الأمة العربية المسلمة بالأندلس. هذه الأمة التي أمست بعد العزة والقوة والازدهار، في حالة قصوى من الضعف والوهن وقلّة العدد وتشتت الكلمة إزاء عدو قويّ منظم جنّد كل طاقاته لمقاومتهم، وتصدّى لهم بحيله ومكايده، وعدته وعتاده، يقول[27] :

وَأَتَـوا بِكُـلِّ مَكِيـدَةٍ قَدْ أَزْهِـــقَتْ آرَاؤُهَـــا فِي أَهْـــبَةٍ لَا تُوصَفُ

ثم يقول[28] :

لَمْ يَبْـقَ رُمْـحٌ عِنْدَهُـــمْ إِلَّا أَتَـــوْا قَصْدًا بِهِ لِجِهَادِنَـــا أَوْ مُرْهَـــفُ

لكن ماذا أعدّ المسلمون يا ترى لمواجهة هذه القوة الغاشمة وهذا العدوّ المدجج بالسّلاح ؟ أعدّوا لذلك... وعدا من الله بالنصر إذ يقول[29]:

وَعْدًا مِنَ ٱللَّـهِ العَظِيـــمِ مُحَقَّقًـــا وَٱللَّـهُ قَطْعًـــا وَعْـــدَهُ لَا يُخْلِـــفُ

(25) ق 178 ص 295 .
(26) القصيدة السّابقة .
(27) القصيدة السّابقة .
(28) القصيدة السّابقة .
(29) القصيدة السّابقة ص 296.

ولكنه وعد يبقى بمثابة الحلم البعيد إذ يقول القيسي في عجز بيت من الأبيات الأخيرة في القصيد[30] : «فَغَدًا نُدَالُ مِنَ الجَمِيعِ وَنُنْصَفُ».

إذن، لم يبق للعربي المسلم الأندلسي إلّا أن يعلّل نفسه بالأحلام والأوهام أو أن يلجأ إلى الدموع يسكب معها حسرته وأساه ويذيب فيها مهجته وقلبه المنفطِر خوفا وهلعا من هول ما يصيبه ويحلّ به ، يقول[31]:

فَقُلُوبُنَـا لِلْخَـوْفِ جَمٌّ خَفْقُهَـا وَجُفُونُنَـا لِلدَّمْـعِ مَا إِنْ تَطْـرِفُ

ذلك أنّ أبواب الأمل انسدت في وجوه الأندلسيين بعدما آلوا إليه من ضعف ووهن جعلاهم عاجزين كلّ العجز عن أن يستمدوا من طاقاتهم الشّخصية القدرة على مواجهة العدو، كما غمرهم إحساس عارم باليأس والخذلان بعد أن تخلّى عنهم الجميع وأبى كل من استنجدوا بهم من ملوك العرب وأمرائهم نصرتهم أو مدّ يد المساعدة إليهم، حتى لكأنّ الشّاعر يعجب من أنّ الله «مازال» يشملهم بنعمته ورعايته، ولم يتخلّ عنهم هو أيضا، إذ يقول في القصيد نفسه واصفا نجاحا حقّقوه في صدّ غارة من غارات العدوّ:

وَأَبَى الإِلَاهُ سِوَى حِيَاطَتِنَا فَلَـمْ يَبْلُغْهُـمُ غَرَضًا إِلَيْـهِ تَشَوَّفُـوا
صُنْـعٌ عَجِيـبٌ مِنْ إِلَاهٍ قَادِرٍ مَازَالَ بِالنُّعْمَـى لَنَـا يَتَعَـرَّفُ

وتزداد العبارة وضوحا وتصريحا في نصّ نثري ورد صفحة 259، شفع به الشّاعر قصيدا مدح به القاضي أبا عمرو بن منظور[32] عندما تولّى ديوان الإنشاء ورئاسة كتّاب الحضرة، وفيه يهنئه بالمنصب الجديد ويعبّر عن سروره وابتهاجه بذلك النبأ وتفاؤله به وانتظاره كل الخير منه، خاصة وأنّ البلاد في مأزق حرج أحدقت بها الأخطار وأحاط بها الأعداء من كل حدب وصوب، إذ يقول: «فلله الحمد على إسداء هذه النّعمة العميمة، التي ببركتها إن شاء الله نرجو منه سبحانه رفع هذه الشدّة العظيمة، النازلة بهذا الوطن الغريب، الآخذة بمخنق البعيد من أهله والقريب، فهي مقدمة للصلاح إن شاء الله منتجة، ولنفوس الأولياء بإفاضة النعماء مبهجة، والمحذور غلاء الأسعار وكلب أعداء الله الكفار مزعجة».

إنّ وجود مثل هذه الفقرة في نصّ امتزج فيه النّثر بالشّعر تعبيرا عن السرور والابتهاج، لدليل على الهمّ الذي يحمله القيسي في قلبه إزاء هذا الوطن. وإنّ قارىء هذه الفقرة لابد أن

(30) القصيدة السّابقة ص 296.
(31) القصيدة السّابقة ص 295.
(32) انظر الإحالة عدد 2.

تستوقفه عبارات عدة، منها خاصة قوله: «الشدّة العظيمة» ، «الوطن الغريب»، «الآخذة بمخنق البعيد من أهله والقريب». هذه العبارات تصور حالة الاختناق بل الاحتضار، التي كان فيها هذا «الوطن الغريب»، وهو غريب لأنه عربي مسلم أحاط به الأعداء «الكفار» من كل جهة، وهو غريب أيضا لأن أبناء ملّته وجنسه تخلوا عنه، فلم ينصروه ولم يشدوا أزره في محنته، ولم يسعفوه بالمدد اللاّزم ليدفع غارات العدوّ المغتصب، فبقي يتخبط كالجريح بين المشاكل الداخلية من مثل «محذور غلاء الأسعار»، والمحن الخارجية وقد لخّصها في قوله : «وكلب أعداء الله الكفّار». وهؤلاء الأعداء ليس لهم من هدف سوى مقاتلتهم قصد إبادتهم عن آخرهم وإجلائهم عن أرضهم ومحو كل أثر لهم فيها. لذلك فلئن حقّق الأندلسيون عليهم انتصارًا في يوم ما، فإنّ الانتصار تعقبه هزيمة، بل هزائم في غد.

وقد صور لنا عبد الكريم القيسي بقلب دام وعين باكية الهزائم التي حلّت بقومه يوما بعد يوم، والمتمثّلة في سقوط ثُغور الأندلس وحصونه ثغرا فثغرا، وحصنا فحصنا ، في يد العدوّ، إذ كانت بلاد الأندلس إذّاك بمثابة المحتضر الذي يدبّ الموت في أوصاله وصلا فوصلا .

3. وصف سقوط الحصون الأندلسية في يد العدوّ واستشعار النّهاية:

ندرج في هذا القسم مجموعة من القصائد والمقطوعات سجّلت كلّ واحد منها حدثا تاريخيا مشهودا أو محنة جديدة في سلسلة المحن التي تتالت على بلاد الأندلس في تلك الأيام متمثلة في سقوط حصن جديد من حصون المسلمين في يد الكفّار أو في رقعة جديدة تُقتطع وتسلب من بلاد الإسلام لتضم إلى بلاد الشرك، أو في هزيمة نكراء تحلّ بجيوش المسلمين، على غرار ما وقع في كائنة لورقة .

1. معركة لورقة(33) :

صور القيسي هذه الهزيمة ، بل صوّر وقعها في نفوس الأندلسيين وعواقبها الوخيمة عليهم، في تخميس مؤثر يقطر لوعة وأسى — يقول في بدايته :

(33) لورقة مدينة كبيرة، عتيقة الطراز، تقع على سفح مرتفع ولها حصن من أمنع حصون بلاد الأندلس، وفي العهد الإسلامي كانت لورقة قلعة مدينة مرسية. سقطت نهائيا بيد النصارى مع مدينة مرسية سنة 665 هـ /1266 م. وفي سنة 856 / 1452 ، كانت معركة لورقة التي هزم فيها النصارى بقيادة بيدرو فخاردو (Pedro Fajardo) المسلمين بقيادة ابن عبد البرّ. (الدّيوان ص 501).

[الكامل][34]

لِمُصَابِ أَنْدَلُسٍ تَصُوبُ ٱلْأَدْمُـــعُ وَلِمَا جَرَى فِيهَا تَذُوبُ ٱلْأَضْلُـــعُ
فَلَهَا مَعَ ٱلْأَعْـــدَاءِ حَالٌ تُفْـــزِعُ تَقْضِي بِحَسْرَةِ مَنْ يَرَى أَوْ يَسْمَعُ
وَتَكَـــادُ مُهْجَتُـــــهُ لَهُ تَتَصَدَّعُ

فحال الأندلس مع أعدائها أضحت حالا مفزعة لأنها صارت بمثابة الحمل الضعيف إزاء ذئب شرس مفترس أتى على «جميع جهاتها» ولم يكد يبقي فيها ولا يذر. إذ يقول[35] :

جَارَ الزَّمَانُ عَلَى جَمِيعِ جِهَاتِهَا فَأَبَـــاحَ حُرْمَـــةَ أَهْلِهَـــا لِعُدَاتِهَـــا

كما أذاقها من الخطوب والأهوال وأذلّها وأباد أبطالها. يقول في ذلك[36] :

فَلَقَـــدْ أَحَـــالَ عَدُوُّهَـــا أَحْوَالَهَـــا حِينَ الخُطُوبِ أَذَاقَهَـــا أَهْوَالَهَـــا
وَأَفَـــاضَ فِي أَقْطَارِهَـــا إِذْلَالَهَـــا لَمَّـــا أَبَـــادَ بِلُـــورَقِ أَبْطَالَهَـــا

هؤلاء الأبطال الذين جاهدوا واستماتوا في الجهاد ولكن العدوّ كان يفوقهم عدة وعتادا وقوة، فلم يستطيعوا له دفعا، ذهبوا ضحية عدم تكافؤ القوى . يقول[37] :

ذَهَبَ الجَمِيعُ مُجَاهِدِينَ كَمَا ٱبْتَغَوْا وَحَوَوْا هُنَاكَ مِنَ الشَّهَادَةِ مَا حَوَوْا
مَاذَا نَكَوْا أَعْدَاءَهُـــمْ مَاذَا نَكَـــوْا وَلَرُبَّمَا مِنْهُـــمْ أُسَارَى مَا افْتَـــدَوْا

ثم تأتي سلسلة الحصون المتساقطة الحصن تلو الحصن كالبناء المتداعي إذا زعزع أحد أركانه تداعى له كامل الهيكل بالسقوط.

2. سقوط حصن اللقون[38] :

سجل عبد الكريم القيسي هذا الخطب العظيم في مقطوعة قصيرة اشتملت على أربعة أبيات صدرها بمقدمة نثرية قصيرة كذلك قال فيها: «ومما أنشدته يوم وصول الخبر بأن العدو الكافر استولى على حصن اللقون من حصون وادي آشي، أعادها الله، بتاريخ يوم الجمعة الثالث والعشرين لذي القعدة عام ستة وثلاثين وثمانمائة...».

(34) ق 80 ص 178 .
(35) المرجع السابق .
(36) المرجع السابق .
(37) المرجع السابق ص 179.
(38) حصن اللقون من أهم حصون وادي آشي استولى عليه القائد القشتالي غومث دي ريبرا (Gomez de Ribera) في 23 ذي القعدة 836 هـ / 11 جويليا 1433 (الذيول ص 499) .

وهذه المقطوعة بالغة الأهمية لسببين إثنين. السبب الأول هو أنها القصيدة الوحيدة في الديوان التي ضبط الشاعر تاريخها، والسبب الثاني هو ما ورد فيها من تعبير صريح عن الإحساس بقرب النّهاية إذ يقول في البيت الأخير منها: [البسيط](39)

فَاسْتَشْعِرُوا ــ إِذْ أَضَعْتُمْ فِيهِ حَزْمَكُمُ وَالجِدُّ ــ قُرْبَ انْقِضَاءِ الوَقْتِ وَٱلْأَمَدِ

فهو يحسّ إحساسا دقيقا أنّ كلّ هزيمة جديدة تقرّبهم من النّهاية التي لم يعد منها بد، وكل غارة جديدة يشنّها العدوّ عليهم تهيّئهم فريسة سائغة للغارة الموالية، يقول(40):

ضَيَّعْتُمُ سَفَهًا حِصْنَ اللُّقُونِ وَلَمْ تُرَاقِبُوا فِيهِ حَقَّ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
حَتَّى حَوَاهُ العِدَا غَدْرًا وَصَارَ لَهُمْ لِغَزْوِكُمْ عُمْدَةً مِنْ أَفْضَلِ العُمَدِ

وهو يحس إحساسا دقيقا كذلك أنّ مصيبتهم نابعة منهم وأنّ المتسبب الحقيقي في كل ما حدث للأندلس ولأهل الأندلس إنّما هم الأندلسيون ذاتهم. وكما ضيع الأولون العديد من المدن الأندلسية الزاهرة، وفرطوا في مساحات شاسعة من البلاد لانشغالهم بالتناحر والتقاتل تكالبا على السّلطة أو لانكبابهم على مجالس اللّهو والمجون سفاهة واستهتارا، ناسين أنّ العدوّ على الأبواب يتربص بهم الدوائر، يواصل المتأخرون الانحدار في المسلك ذاته، مفرّطين في البقية المتبقية من أرض الإسلام بالأندلس، نقطة فنقطة، وثغرا فثغرا، تهاونا وعجزا، حتى أنّ الشاعر لم يجد من متنفس عما يختلج في نفسه من حسرة، وفي كبده من ألم إلّا الشتم والدعاء على قومه لضعفهم وتقصيرهم، فيقول(41):

يَا أَهْلَ وَادِي ٱلْأَشِي لَا دَرَّ دَرُّكُمُ وَلَا بَرِحْتُمْ لَقًى لِلْكَرْبِ وَٱلكَمَدِ
ضَيَّعْتُمُ سَفَهًا حِصْنَ اللُّقُونِ وَلَمْ تُرَاقِبُوا فِيهِ حَقَّ الوَاحِدِ الصَّمَدِ

3. سقوط جبل الفتح(42) :

وفاجعة اللّقون تلتها مباشرة وفي التاريخ ذاته فاجعة أخرى تمثلت في استيلاء العدوّ على جبل الفتح إذ قال الشّاعر مصدرا القصيدة التي رثى فيها جبل الفتح(43) : «وقلت عندما اتصل خبر أخذ جبل الفتح في التّاريخ المذكور». والتّاريخ المذكور هو الذي أرّخ به سقوط

(39) ق 200 ص 347 .
(40) المرجع السابق .
(41) المرجع السابق .
(42) جبل الفتح هو جبل طارق، سقط سقوطا وقتيا سنة 836 /1433 وهو الذي أشار إليه القيسي. وسقط نهائيا بيد النصارى سنة 866 /1462 (الديوان فهرس الأماكن ص 499) .
(43) ق 221 .

حصن اللّقون[44] . وقد رتّب قصيدة جبل الفتح مباشرة بعد قصيدة حصن اللّقون في الديوان مع العلم أنّ عبد الكريم القيسي جمع ديوانه ورتّبه بنفسه كما بيّن ذلك في المقدمة[45] .

ولوعة الشاعر لهذه الفاجعة الجديدة كانت عظيمة ذلك أنّ لجبل الفتح شأنا عظيما في نفوس أهل الأندلس ماديا وأدبيا[46] . فهو الباب الذي ولج منه العرب الفاتحون إلى إسبانيا، وهو المنفذ الذي انطلقت منه الجيوش لتنشر الدين الإسلامي وتبسط سلطانه على الجزيرة الإيبيريّة. ثم هو همزة الوصل بين الأندلس وإفريقية ومنها إلى سائر بلاد العروبة والإسلام . ثم هو، وخاصة منذ تدهور الأوضاع في البلاد ، بمثابة الجسر الواصل الذي منه يأتي إلى أهل الأندلس العون والمدد، كلما ضاقت بهم السبل والتجؤوا إلى إخوانهم بإفريقية يستنجدون بهم ، ثم هو أخيرا أمسى في هذه العهود البائسة المدلهمّة بمثابة الرمز الذي يذكر أهل الأندلس بعهود القوة والازدهار ، ويوهمهم بأنّهم ما برحوا جزءا لا يتجزأ من عالم العروبة والإسلام ، وأنّ صلتهم به ما برحت قائمة الذات ، وإمكانية الاستغاثة به أو الهروب إليه والاحتماء به ما برحت متوفّرة . فسقوطه هو إذن ، الكارثة العظمى والطامة الكبرى وهو بداية النّهاية بالنّسبة إلى ما تبقى من الأندلس ، وهو عند أهلها، إحساس بدبيب الموت يسري في أوصال وطنهم العليل المحتضر ويقوده إلى التّلاشي والعدم ويقودهم إلى الرضوخ والاستسلام للعدوّ المنتصر أو محاولة الفرار والنّجاة بدينهم وأرواحهم .

لذلك جاءت قصيدة القيسي في سقوط جبل الفتح مصورة لما اعتلج في نفسه وفي نفس كل أندلسي من آلام، وما اضطرم في قلبه من حزن عميق متأجج اذ استهلها بقوله:

[الطّويل][47]

أُوَارِي أُوَارَ القَـلْبِ مَعْ شِدَّةِ اللَّفْـحِ ... فَتُبْدِيهِ عَيْنٌ دَمْعُهَـا دَائِـمُ السَّفْـحِ
وَأُخْفِي الَّذِي أَلْقَى مِنَ الْحُـزْنِ وَالْأَسَى ... وَظَاهِرُ حَالِي ـــ الدَّهْرَ ـــ يُؤْذِنُ بِالصَّفْحِ

ويواصل التّعبير عن حزنه وحزن بني وطنه لتلك الكارثة قائلا[48] :

فقلت: دَعِينِي الحُزْنُ فَرْضٌ عَلَى الوَرَى ... أَمَا قَدْ حَوَى أَعْدَاؤُنَا جَبَلَ الفَتْـحِ ؟
حَرَامٌ عَلَيْنَا الـبِشْرُ وَالمَنْـحُ بَعْـدَهُ ... وَفِي القَلْبِ مِنْ آلَامِهِ أَعْظَمُ الجُرْحِ

---

(44) انظر سقوط حصن اللقون .
(45) الديوان ــ مقدمة الشاعر ص 22 .
(46) د. جمعة شيخة «القيمة الوثائقية في شعر القيسي» حوليّات الجامعة التونسية عدد 27 لسنة 1988 ص 122-123 .
(47) ق 221 ص 348 .
(48) ق 221 ص 349 .

فلا تتردد في أبياته سوى عبارات «الأوار» و«اللفح» و«الدمع» المسفوح و«الحزن» و«الأسى» و«الآلام» و«أعظم الجرح». ذلك أنّ فقدان جبل الفتح يعني أنّ الرّجاء انقطع وأبواب الأمل انسدت في وجوه الأندلسيين ولم يبق لهم من ملاذ يلوذون به ومُعوّل يعوّلون عليه سوى رحمة الله وعونه، فيقول[49] :

عَسَى مَنْ قَضَى فِيهِ بِأَخْذٍ يُعِيدُهُ   وَيَذْهَبُ مَا أَشْكُوهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَجِ
فَمِنْهُ تَعَالَى نَرْتَجِي الخَيْرَ كُلَّـهُ   وَمَازَالَ أَهْلَ الفَضْلِ وَالمَنِّ وَالمَنَحِ

وتتوالى الكوارث وتتعاقب ، فبعد جبل الفتح يأتي دور ثغر بلّش .

4. سقوط ثغر بلّش[50] :

سجّل القيسي هذه المصيبة الجديدة في مقطوعة[51] اشتملت على أربعة أبيات لا غير. فكأنّ شاعرية الرّجل عاجزة عن مواكبة الأحداث. أو لكأنّ سرعة تتالي المحن وتلاحقها شل قتّه وقتل موهبته، فصارت قصائده الأخيرة في الدّيوان وخاصة منها تلك التي تسجل أحداثا جسيمة، قصيرة مقتضبة أشبه ما تكون ببلاغات حربية.

نجده في البيتين الأول والثاني منها، يستعرض ما فرط فيه الأندلسيون من حصون وثغور وقعت في يد العدّو، فازداد بها قوة ومناعة واتّخذها قواعد جديدة يسدد منها ضرباته إلى المسلمين[52] . ففي الغرب جبل الفتح، وفي الشرق ثغر بلّش، وفي الجوف حصن اللّقون ، يقول :

[الخفيف][53]

جَبَلُ الفَتْحِ بِيعَ بِالْغَـرْبِ بَخْسًا   وَتَـلَاهُ بِالْبَيْـعِ فِي الشَّرْقِ بِلَّشْ
وَاللُّقُونُ اسْتُبِيـحَ بِالجَـوْفِ غَدْرًا   حِينَ فِيهِ بِوَاجِبِ الحِفْـظِ دُلِّسْ

(49) المرجع السابق .

(50) بإمارة غرناطة أربعة أماكن يطلق عليها اسم بلّش وهي: بلّش مالقة، بلش البيضاء ، وبلّش الحمراء وبلّش ابن عبد الله. والمقصود هنا بلش الحمراء (Velez-Rubio) وقد سقطت مرتين: الأولى سنة 840 / 1437 واسترجعها بنو الأحمر سنة 851 /1447 والثانية سنة 893 / 1488 على يد فرديناد الكاثوليكي وكان سقوطها في هذه المرّة سقوطا نهائيا. والشاعر يشير إلى السقوط الأول. (الديوان. ص. 499) .

(51) ق 271 ص 415 .

(52) ذكر الشاعر هذا المعنى خاصة في مقطوعة «حصن اللقون» ، البيت الثالث : ق 220 ص 347 .

(53) ق 271 ص 415 .

وبذلك أصبح أمير الجزيرة مملسا في الجهات الثلاث أي أنّ زمام الأمور أفلت من يده بالنّسبة إلى الجهات الثلاث. وأضحت المملكة الأندلسية المتقلّصة عُرضة لضربات العدوّ، لا ثغور تحميها ولا حصون تلوذ بها. فلم يبق لمن يقيم بها عن رغبة واختيار إلا أن يعجّل بالرحيل عنها، إذْ أنّ العيش في هذه الأرض المهدّدة أمسى مستحيلا يقول[54]:

فَأَمِيـــرُ الجَزِيـــرَةِ اليَـــوْمَ مِنْهَـــا   فِي الجِهَاتِ الثَّلَاثِ وَٱللّٰهِ مُمْلِسْ
يَا مُرِيدَ ٱلجُلُوسِ فِيهَـــا اخْتِيَـــارًا   اِرْتَحِلْ عَنْهَا وَالتَمِسْ أَيْنَ تَجْلِسْ

ويأتي في نهاية هذه القائمة السوداء، قصيد أخير يقطر حزنا وانكسارا ويخيّم عليه اليأس والقنوط، قاله الشاعر عند استيلاء العدو على حصن أرشذونة .

5. سقوط حصن أرشذُونة[55] :

وهذا القصيد بمثابة التتويج لهذه السلسلة السوداء، لأنّ الشاعر بلغ فيه القمة في التعبير عن اليأس المطلق الذي كان يسيطر على أهل الأندلس، وفي وصف حالة الفزع والرعب التي كانوا يعيشون فيها. والأبيات الثلاثة الأولى تُترجم عن ذلك بوضوح، ولا تترك مجالا للشكّ أو الالتباس، إذ يقول:

[الطويل][56]

مَخَايِلُ هَذَا الحَالِ تُؤْذِنُ بِالهَلْكِ   وَتَقْضِي لَنَا بِٱلذُّلِّ وَالعِزِّ لِلشِّرْكِ
وَإِنَّ بِلَادَ المُسْلِمِيـــنَ بِأَسْرِهَـــا   بِذَا ٱلْقُطْرِ يَحْوِيهَا العَدُوُّ بِلَا شَكِّ
وَيَقْسِمُ بَيْنَ القَتْلِ وَالأَسْرِ أَهْلَهَـــا   فَمَا عَنْ كِلَا ٱلأَمْرَيْنِ شَخْصٌ بِمُنْفَكِّ

فالمصير إذن حُدّد، والحكم أصدر، والتنفيذ بقي رهين أجل محدود.

(54) القصيدة السابقة .

(55) أرشذونة أو أرجذونة (Archidona) مشتقة من الاسم القديم (Eteleduna) ومعناه معصرة الزيت، تقع في الشمال الشرقي من مالقة بين أنتقيرة ولوشة على ضفة شنيل. وبها قلعة بوبشتر التي تحصن فيها ابن حفصون. سقطت بصفة وقتية بيد النصارى سنة 835 / 1431 ، وسقطت نهائيا في 5 محرم 867 / 30 سبتمبر 1462 (الديوان ص. 497) .

(56) قصيد رقم 232 ص 363 .

وإذا كان هناك من لا يزال يشكّ في الأمر أو يحاول رفض الحقيقة المرة، أو يعلّل نفسه ببعض الأمل، فإنّ الهزيمة الأخيرة التي مني بها المسلمون، والمتمثلة في استيلاء المسيحيين على حصن أرشذونة بعد سلسلة الحصون الأخرى التي وقعت في قبضتهم، أتت لتؤكد الحقيقة وترفع الالتباس. وعبارة الشّاعر في ذلك واضحة صريحة. يقول[57]:

وَقَدْ رَفَعَ الإِشْكَالَ أَخْذُ ارْشُذُونَةٍ وَتَصْيِيرُهَا مُلْكًا لَهُ أَعْظَمَ المُلْكِ
وَمِنْ قَبْلِهَا حِصْنَ اللَّقُوْنِ اسْتَبَاحَهُ وَمِنْ جَبَلِ الفَتْحِ انْتَقَى دُرَّةَ السِّلْكِ

فالحقيقة باتت إذن عارية سافرة أمام الشاعر وقومه. وقد أضحوا على بيّنة من أمرهم ومن المصير الذي يترصدهم . ومع ذلك ، فهم عاجزون كلّ العجز عن إحداث أيّ تغيير في مجرى الأحداث . ذلك أنّ الانقسام والتشتّت والتّكالب على السلطة والطمع ديدنهم . فكيف السبيل إلى «إدراك حق بباطل ؟ » يقول[58] :

وَنَحْنُ عَلَى نَهْجِ الشَّبَابِ مَسِيرُنَا لإِدْرَاكِ مَالِ المُسْلِمِينَ أَوِ المُلْكِ
وَهَيْهَاتَ مِنْ إِدْرَاكِ حَقٍّ بِبَاطِلٍ وَغِشٍّ وَتَدْلِيسٍ وَبُهْتَانِ أَوافِكِ

وحتّى الدّين لم ترع له حرمة ولم يُصن له حقّ. إذ يقول[59] :

فَوَاأَسَفَا لِلدِّينِ أُهْمِلَ حَقُّهُ وَقُوبِلَ مِنْهُ السِّتْرُ بِالْكَشْفِ وَالْهَتْكِ
وَهُدَّتْ مَبَانِيهِ وَدُكَّتْ سَفَاهَةً فَسَاءَتْ بِمَا تُبْدِي مِنَ الهَدِّ وَالدَّكِّ

ويدعو القيسي في آخر القصيد بني قومه إلى الإفاقة وترك النوم والجمود، مؤكدا لهم أنّ ما يقوله هو الحقيقة التي لا مراء فيها. ويتوهّم السامع أنّه يسعى من جديد إلى بعث الهمم وإيقاظ العزائم لتدارك الأمر وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. ولكن هيهات لقد فقد الشاعر كل أمل في النصر أو حتى في القدرة على الصمود. فهو يعلم علم اليقين أنّ وطنه أصبح مثل العليل الذي نخر الداء جسمه وأتى على معظم كيانه. وبقيت الروح تتردد في جزء ضئيل منه تنتظر النّهاية المحتومة لذلك، فلئن دعا بني قومه إلى الإفاقة وهجر النّوم، فليس للمقاومة أو الصمود، بل لبكاء هذا الوطن السليب الذي فرّطوا فيه عن جهل وغباوة وسوء تصرف، وتركوه للأعداء

(57) المرجع السّابق .
(58) المرجع السابق .
(59) المرجع السابق ص 364 .

ينهبونه ويغتصبونه. فليبكوا هذه الوطن بالدم القاني، إن كانوا فيما مضى يبكونه بالدّمع وحده. يقول[60] :

أَفِيقُوا، أَفِيقُوا ، وَاهْجُرُوا النَّوْمَ إِنَّهُ   حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَا أَقُولُ وَمَا أَحْكِي
وَمَنْ كَانَ فِيمَا مَضَى الدَّمْعَ بَاكِيًا   فَفَرْضٌ عَلَيْهِ قَانِيَ الدَّمِ أَنْ يَبْكِي

هكذا صور عبد الكريم القيسي الأندلسي ذلك الواقع القاسي المرير، وسجّل للتاريخ تلك المأساة المؤلمة، مأساة أمة ذاقت طعم الذلّ والهوان، ووصف لنا آخر أيام الجنة الضّائعة وصوّر لنا اللّقطات الأخيرة من شريط سقوط الأندلس.

على أنّ النهاية في الأندلس ، لم تكن نهاية واحدة بل كانت نهايات، وقد بدأت بسقوط أول مدينة كبيرة وخروجها من أيدي المسلمين وذلك منذ الربع الأخير من القرن 5 /11[61] . وقد سجّل الشّعراء الأندلسيون ذلك عبر القرون في شعر يفيض لوعة وأسى ويندرج في غرض رثاء البلدان والتفجّع على الأوطان . وهو غرض بقي حاضرا في الشّعر الأندلسي منذ ذلك الحين إلى سقوط آخر مدينة فيها وهي غرناطة عاصمة النّصريّين، وقد دام ذلك ما يزيد على الأربعة قرون، من الربع الأخير من القرن 5 /11 إلى أواخر القرن 9 /15. وإلى هذا الغرض ينتمي قسم كبير من شعر القيسي في استشعار النّهاية، كما انتمى إليه قبله شعر كثير، ولعلّ أشهر ما اشتهر منه على الإطلاق قصيدة أبي البقاء الرّندي[62] التي يقول في مطلعها:

[البسيط]

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ   فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ   مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

وهي قصيدة تعتبر بحقّ من الآثار الإنسانية الخالدة لما حوته من صدق النبرة وبلاغة العبرة، وجمال اللفظ وعمق المعنى، ولما تضمنته من صور ناطقة وموسيقى رائقة. وهي قصيدة تأمّلية لا توثيقية إذ لا نجد فيها ذكرا لأحداث مخصوصة أو إشارات دقيقة. بل هي تأملات تجاوزت الواقع المأسوي المعيش إلى تصوير مأساة الإنسان حيثما كان في صراعه مع الزمان. وهي متأصلة في الشّعر العربي، تكوّن حلقة هامة في سلسلة مأثورة فيه، من أهم حلقاتها

(60) المرجع السابق .
(61) هي مدينة طليطلة . استولى عليها ألفونسُو السادس سنة 478 هـ ـــ 1085م .
(62) أبو البقاء الرّندي . هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، من أهالي رندة. عاش في النصف الثاني من القرن 7 /13، فهو معاصر للفتنة التي قامت على إثرها مملكة غرناطة. أهم ما اشتهر به بين النّاس هذه المرثيّة .

سينية البحتري (206 ـــ 284 هـ) في وصف إيوان كسرى، وفي مطلعها يقول:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي   وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْرُ الْتِمَاسًا مِنْهُ لِتَعْسِي وَنَكْسِي

ونونيّة ابن رشيق في رثاء القيروان. وستتولّد عنها مجموعة من المعارضات من بينها نونيّة أحمد شوقي في رثاء دمشق وفي مطلعها يقول:

[البسيط]

قُمْ نَاجِ جِلَّقَ وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانُوا   مَشَتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ
هَذَا الْأَدِيمُ كِتَابٌ لَا كِفَاءَ لَهُ   رَثُّ الصَّحَائِفِ بَاقٍ مِنْهُ عُنْوَانُ

ولئن لم يبلغ شعر عبد الكريم القيسي الشأو الذي بلغته هذه القصيدة الخالدة في الفن والإبداع، فإنّ صدق اللّهجة وتأجج العاطفة يضفيان على شعره مسحة من التلقائية والجمال تصل حدّ الإبداع في القصائد التي وصف فيها محنا وأزمات شخصية أو عائلية حلّت به، أو القصائد التي سجل فيها ما مر به وطنه من كوارث ورزايا.

على أنّ هذا الشّعر يهمّنا بالدرجة الأولى كوثيقة أدبية تاريخية. أدبية لأن هذا الديوان هو آخر ديوان أندلسي يصل إلينا. فهو إذن يطلعنا على وضعية اللّغة العربية والشّعر العربي بالأندلس في آخر أيّام العرب بها. وتاريخية لأنه صوّر لنا حياة الأندلسيين في الفترة التي سبقت سقوط غرناطة مباشرة أي في العقود الأخيرة من الحضور العربي الإسلامي بالأندلس. صوّر لنا حياتهم اليومية وكفاحهم اليومي من أجل البقاء ومحاولتهم الصمود في وجه بيئة معادية. إلّا أنّه كفاح ميئوس منه لأنّ الأندلسيين كانوا على يقين من أنّ النهاية قريبة. ذاك هو الإحساس الذي يغمر قارىء هذا الدّيوان، وذاك هو الإحساس الذي غمر نفس الشاعر واستولى على كيانه من بداية الديوان إلى نهايته: استشعار النّهاية والشعور باليأس والعجز.

بين ابن زهر وابن باجة

كان بين أبي العلاء بن زهر [1] وأبي بكر بن باجة [2] ــ بسبب المشاركة [3] ــ ما يكون بين النّار والماء، والأرض والسّماء.

ولمّا قال فيه ابن باجة : [مخلع البسيط]

يَا مَلِكَ الْمَوْتِ وَابْنَ زُهْرٍ   جَاوَزْتُمَا الْحَدَّ وَالنِّهَايَةْ
تَرَفَّقَا بِالْوَرَى قَلِيلاً   فِي وَاحِدٍ مِنْكُمَا الْكِفَايَةْ [4]

قال أبو العلاء : [السريع]

لاَ بُدَّ لِلزِّنْدِيقِ [5] أَنْ يُصْلَبَا   شَاءَ الَّذِي يَعْضُدُهُ أَوْ أَبَى
قَدْ مَهَّدَ الْجِذْعُ لَهُ نَفْسَهُ   وَسَدَّدَ الرُّمْحُ إِلَيْهِ الشَّبَا [6]

والذي يعضده مالك بن وهيب [7] جليس أمير المسلمين [8] وعالمه.

المقري : نفح الطيب 434/3

---

(1) أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر : من عائلة أندلسيّة كبيرة اشتهرت بالطبّ. وكان هو من كبار حكماء عصره توفّي 525هـ/1131م (المقّري : نفح الطيب : 245/2).

(2) ابن باجة : من مشاهير الفلاسفة بالأندلس وحكمائها اتّهم بالإلحاد، توفّي 533هـ/1139 (الأعلام : 6/8).

(3) أي يتعاطيان مهنة واحدة : وهي التطبيب والفلسفة.

(4) يلمّح إلى كثرة الموتى الذين عالجهم ابن زهر.

(5) كان ابن باجة يتّهم في اعتقاده لاشتغاله بالفلسفة والتنجيم.

(6) الشّبا : سنان الرمح.

(7) مالك بن وهيب : فيلسوف المغرب، ظاهر الزهد والورع، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وصيّره جليسه وأنيسه وأمره بمناظرة محمّد بن تومرت الملقّب بالمهدي (المقّري : نفح الطيب: 80/3ــ479).

(8) المقصود هو علي بن يوسف بن تاشفين.

فَائِتِ شعر ابن الحدّاد الأندلسي

بقلم الأستاذ: عبد العزيز الساوري
المهندسين : القاهرة

أبو عبد الله بن الحدّاد، هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي ثم التميري، مروي[1] السكنى، وادي آشي[2] الأصل، أمه أخت القاضي أبي عمر بن الحَذّاء[3]. روى عن خاله أبي عمر المذكور، روى عنه عبد الله بن عوف وأبو عبد الله بن أحمد بن سليمان بن الصفار.

قال ابن عبد الملك المراكشي عنه إنه : «كان شاعرًا مجيدًا مفلقًا، مفخرة من مفاخر عصره، متصرفًا في فنون من العلم، متقدمًا في التعاليم والفلسفة، مبرّزا في فك المعمّى لا يكاد يدرك فيه شأوه»[4].

وكان لابن الحداد ديوان شعر كبير معروف[5]، وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسخة منه في ثلاثة أسفار[6] ضخمة مبوّبًا على حروف المعجم[7]، إلّا أنّه ضاع فيما ضاع من نفائس تراثنا الشعري .

---

(1) المرية: مدينة بنيت أيام عبد الرحمن الناصر، وازدهرت في أيام المرابطين واشتد فيها الرخاء، وتقع على الساحل الشرقي إلى الجنوب الشرقي من بَجّانة.
انظر: الروض المعطار ص 537-538 .

(2) وادي آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة. انظر: الروض المعطار ص 604-605.

(3) انظر ترجمته في : جذوة المقتبس ص 375 رقم 947 وبغية الملتمس ص 511-512 رقم 1538.

(4) الذيل والتكملة س 6 ص 10.

(5) التكملة 1 /398 والمغرب ط /143-144 والوافي بالوفيات 2 /86 وفوات الوفيات 3 /283 والإحاطة 2 /334 وعقود الجمان 2 / (غير مرقم) ونفح الطيب 7 /26 وكشف الظنون 1 /765.

(6) السفر عند القدماء أكبر من المجلدة والملجدة مجموعة ملازم صغيرة.

(7) الذيل والتكملة س 6 ص 10 .

وقد نهدت لجمع شعره الأستاذة منال منيزل ونشرته في ديوان سمته: «شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي المتوفى سنة 480 /1087 جمع وتحقيق وتقديم»، وجعلته في قسمين: تناولت في الأوّل سيرة الشاعر وقامت بدراسة مختصرة لشعره، وأوردت في القسم الثاني ما استطاعت جمعه مما تناثر من شعر ابن الحداد من قصائد ومقطّعات وقد وجدتها في إحدى وسبعين قصيدة ومقطوعة بلغ مجموع أبياتها ستمائة وأربعة وعشرين بيتا. وقد رتّبت هذه القصائد والمقطوعات حسب الحروف الهجائية لقوافيها.

وقد تجمعت لديّ استدراكات على شعر أبي عبد الله بن الحداد مما لم يرد في مجموعه، أوردها لعليّ أضيف لبنة جديدة في خدمة شعرنا الأندلسي .

ـ الهمـــزة ـ

(1)

قال : [الكامل]

1 – عافَ النهارَ مخافةَ الرقباءِ ... فَسَرى يضمّــخُ حُلّــةَ الظَّلمـــاءِ
2 – يَطوِي شَذاه عن الأنوف نهارَه ... ويجــود في الظُّلْمــــاء بالإفشاءِ
3 – متهتّكٌ في طبعه متستّـرٌ ... وكـــذا تكـــون شمائـــلُ الظُّرفـــاءِ
4 – لمّا رأى حُبَّ الأنوف لعَرْفِهِ ... لَبسَ الغيـــاهبَ خِيفَـــةَ الرُّقبـــاءِ
5 – كالطَّيف لا يصل الجفون لسُهْدِها ... ويَـــهُبُّ فيهـــا ساعـــةَ الإغفـــاءِ

نهاية الأرب 11 /272–273 ومفتاح الراحة ص 261–262.

وقال يصف الدهر وتقلبه بأهله وذلك في فعل الله لا من فعله :

(2)

[المجتث]

1 – النـــاسُ مثـــلُ حَبـــابٍ ... والدّهـــــر لُجّـــــةُ[8] ماءِ
2 – فعالِـــــمٌ في طُفُـــوٍّ ... وعالِــــمٌ في انطفـــــاءِ

(8) الاستبصار : «بركة» .

قال ابن عبد الملك المراكشي : «لم تستعمل العرب «انفعل» مطاوع «أفعل» إلا شاذا، فقوله : «انطفاء» لا يستقيم على مشهور كلام العرب، وقد قالوا: أطلقته فانطلق»[9] .

الذيل والتكملة س 6 ص 11 ويروى البيتان لأبي القاسم خَلَف بن فرج الإلبيري المعروف بالسَّمَيْسر في المطرب ص 96 ونفح الطيب 3 /293 وهما بلا نسبة في الاستبصار في عجائب الأمصار ص 141.

ـ البـــاء ـ

(3)

وقال يَصِفُ الشمس وقد طَفُلت للغروب :

[الكـامل]

1 ـ إني أرى شمس الأَصيلِ عَليلةً ... تَرْتـادُ مِنْ بيـنِ المغـارِبِ مَغْرِبَـا
2 ـ مالتْ لتحجُبَ شخصها فكأنها ... مَدَّتْ على الدُّنيا بساطًـا مُذْهَبَـا

معاهد التنصيص 2 /96 ونسبهما ابن بسام في الذخيرة ق 1 م 2 ص 756 لأبي أحمد عبد العزيز بن خِيرَة المُنفتِل .

(4)

وقال في مليح حيا بنرجس :

[البسيط]

1 ـ وشادن أهيف حيا بـنـرجسة ... كأنها إذ بدت في غاية العـجب
2 ـ كف من الفضة البيضاء ساعدها ... زبرجد حملت كأسا من الـذهب

حلية الكميت ص 200.

---

(9) أخبرني أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب في بيته بمنيل الروضة ليلة 8 /5 /89 أن: «سبب الشذوذ هو عدم وجود الثلاثي المتعدي إذ لا يقال في العربية (طفأته) ولكن لعل هذا الفعل المتعدي كان موجودا في يوم من الأيام عندما اشتقت منه العرب صيغة المطاوعة ومما يمكن أن يستأنس به في هذا المجال قول ابن جني: (الفعل حاصل في الكف) ونصه: قال ابن جني: قال لي أبو عليّ بالشام: إذا صحّت الصفة فالفعل في الكفّ». انظر الخصائص 1 /121.

ـ التـــاء ـ

(5)

وقال في النرجس :

[البسيط]

1 - أُنظر إلى النَّرجس الوضَّاح حِينَ بَدا   كَأنَّهُ ناظِـــرٌ من عيـــنٍ[10] مَبْهُــوتِ
2 ـ كَأذْرُعِ الغِيدِ في خُضْرِ البُرودِ جَلَتْ   علـــى إناملِهـــا صُفْـــرَ اليَواقِيـــتِ
3 ـ كأنَّهُ وضِعَافُ القضْبِ تحملُهُ   أوائـــلُ النَّـــارِ في أطـــرافِ كبـــرِيتِ

[1-2-3] لمح السحر ورقة 26 ب ـ 27أ
[1-2] غرائب التبيهات ص 78 وحلبة الكميت ص 200.

ـ الثــاء ـ

(6)

وقال يرثي :

[البسيط]

1 - شمسُ الظَّهيرةِ هَل تَدرِينَ مَا حَدَثَا؟   شَمْسُ العشيـرةِ حلَّتْ[11] مَغْرِبًا حَدَثَـا
2 - أنْظُرْ ثَبِيرًا هَل آنهدَّتْ جوانِبُـــهُ   لحادثٍ من[12] ثبيرِ الحِلْمِ قد حَدَثَـا

السحر والشعر (تحقيق قدور بابراهيم..) ص 142 رقم 115 وص 38 من (تحقيق ج.م. كونتي...) وزهر الأكم 2°22-23.

---

(10) غرائب التنبيهات : «جفن» .
(11) السحر والشعر (تحقيق ج. م. كونتي...) : «حلت» .
(12) المصدر السابق : «في» .

(7)

وقال :

[الخفيف]

1 - إنَّ قومًا يلحون في حُبِّ سُعْدى   لا يكـــادُون يفْقَهُـــونَ حديثـــا
2 - سَمِعُوا وصْفَهـا فلاموا[13] عَلَيْهَا   أَخَــذُوا طَيِّـــا وأعْطَـــوا خبيثـــا

زهر الأكم 1 /152 ، 2°21.

ـ الــراء ـ

(8)

وقال يصف رمانة :

[البسيط]

1 - وفتيـة لم يزالوا طولَ يومهـمُ   في ظلِّ رمانـةٍ قد[14] مَدَّ أستـــارَهْ
2 - يا حُسْنهُ وهبوب الريح تعطِفه   وكـــلُّ غصن له قد كان[15] نُوَّارَهْ
3 ـ كأنها شمعة خضراء مضرمة   في كف نشوان وافى بيت خمَّارَهْ[16]

مباهج الفكر ص 91

(9)

وقــال :

[الكامـل]

1 - اشدُدْ يديك على أخيك تكن به   في كلِّ أمـــرٍ تبْتَغِيـــهِ قديـــرا
2 - لو لم يكـــن بأخٍ أخٌ متأيـــدا   لم يَتَّخِـــذْ موسى أخـــاه وزيـــرا

نزهة الأبصار ص 151

---

(13) زهر الأكم 1 /152 : «ولاموا» .
(14) في الأصل : «مر» .
(15) في الأصل : «حان» .
(16) في الأصل : «غماره» .

(10)

وقال في حمة بَجّانة[17] المرية :

[الطويل]

1 – وبالحمة الزهراء قد أسعد المنى ... وبان كمثل الروض أزهر معطارُ
2 – وردنا بها ماء سخينا كأنه ... دموع محب والأحبة قد ساروا
3 – بها اجتمع الضدان فالأمر مغرب ... فللماء إظهار وللنار إضمار
4 – كأفئدة تبغي خلاف الذي تعي ... فللود إظهار وللحقد أسرار

جذوة الاقتباس 1 /190–191

ــ الضَّــاد ــ

(11)

وقال :

[الكامل]

1 – وأجَلُّ مَفْقود شبابٌ ذاهبٌ ... وأعزُّ موجودٍ حبيبٌ مُمحضُ

جنّة الرّضا 3 /65

ــ الــلام ــ

(12)

وقال من أبيات يرثي فيها صديقًا له :

---

(17) بَجّانة: مدينة كانت من أهم قرى أرض اليمن، أي الإقليم الذي نزل عليه بنو صراح القضاعيون وكانوا يأخذون أرشه، وهي قريبة من المرية بينهما ستة أميال، وقال ابن سعيد: مُحْدَثة بُنيت في دولة بني أمية. انظر: الروض المعطار 79–80 والمغرب 2 /190.

[الطويل]

1 - تيقّن أنّ الله أكرمُ جيرةً فأزمعَ عن دارِ الفناءِ[18] رَحيلا
2 - فإن أقفرتْ منهُ العُيونُ فإنّه تَعوّضَ[19] منها بالقلوبِ بَديلا
3 - ولم أرَ أنسًا بعده[20] صار[21] وَحشةً وبَرْدًا على الأكبادِ صار[22] غَليلا
4 - وَمَنْ كُنْ[23] أيامُ السرورِ قصيرةً به كان ليلُ الحُزنِ فيه طويلا

المنازل والديار ص 248-249 وتروي الأبيات لابن خفاجة في ديوانه ص 369-370 رقم 111 وخريدة القصر 2 /163 ونفح الطيب 4 /107.

(13)

وقال يهجو السّميسر[24] :

[البسيط]

1 - يا أهل غرناطة[25] نيكوا سميسركُمْ ففي رُميلتِنا عنه لنا شُغُلُ

الذخيرة ق 1 م 2 ص 904

---

(18) الديوان والخريدة والنفح : «الحياة» .
(19) الخريدة : «يُعوَّض» .
(20) الديوان والخريدة والنفح : «قبله» .
(21) الديوان والخريدة والنفح : «عاد» .
(22) الديوان والخريدة والنفح : «عاد» .
(23) الديوان والخريدة والنفح : «تكُ» .
(24) هو أبو القاسم خلَف بن فرج الإلبيري المعروف بـ«السُّمَيْسِر»، من أعلام الشعراء في زمن ملوك الطوائف، وكان كثير الهجاء، وله كتاب سماه بـ «شفاء الأمراض في أخذ الأعراض».
انظر ترجمته في: الذخيرة ق 1 م 2 ص 882-904 والمغرب 2 /100-101 رقم 411 وخريدة القصر 2 /167-169 رقم 25 ونفح الطيب 1 /527-528؛ 3 /227-228، 291، 293، 320-321، 329، 390، 412 ؛ 4 /20، 108، 116-117 وتاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات ـــ الأندلس) ص 233-234.
(25) أيضا: أغرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلًا، وهي من مدن إلبيرة. انظر: الروض المعطار ص 45-46.

(14)

وقال :

[البسيط]

1 – وفي الظعائن[26] مخطوفُ الحشاغَنِجٌ   يعطو بأعطافِ نشوان الخُطائِمِلِ
2 – ظبيٌ مشى الورد من لحظي بوجنته   مشي اللواحظ من عينيه في أجلِ

السحر والشعر (تحقيق قدرو إبراهيم...) ص 445 رقم 808، وسقط البيتان من تحقيق ج.م. كونتي...).

ـــ النون ـــ

(15)

وقال :

[المتقارب]

1 – يفعلك تقبُح أو تحسُنُ   وما مَنْ يُسيءُ كمن يُحسِنُ

الدر الفريد جـ 2 (غير مرقم، انظر حرف الباء) ولمح السحر ورقة 24 أ.

(16)

وقال :

[البسيط]

1 – بعثتُ بالياسمين الغضّ مبتسمًا   وحسنُه فاتنٌ للنفس والعينِ
2 – بعثتُهُ منًا عن صدقِ معتقدي   فانظرْ تجدْ لفظه يأسًا من المَيْنِ

نهاية الأرب 11 /239 وحسن المحاضرة 2 /424

(26) في الأصل : «الضغائن» .

ــ الهــاء ــ

(17)

وقال في شاعر يعرف بابن الفرّاء[27] :

[مجزوء الرمل]

1 - لابــــن فراء[28] قريضٌ زمْهريــــرُ البــــرْدِ فيــــه

2 - وإذا[29] ما قال شعــــراً[30] نفــــقتْ سوقُ أبيــــه

البيتان للمنفتل في الذخيرة ق 1 م 2 ص 760 ونفح الطيب 3 /387، وينسب البيت الثاني إلى **ابن الحداد** في خريدة القصر 2 /194 **وإلى** المنفتل[31] في بدائع البدائه ص 401 ونفح الطيب 3 /332 ونسبه ابن سعيد في المغرب 2 /184 لابن زيدون[32] ، وهما بلا نسبة في الوافي في نظم القوافي ص 70[33] .

ــ اليــاء ــ

(18)

وقــال :

[الطويل]

(27) يعرف بالأخفش بن ميمون أو بابن الفرّاء، أصله من حصن القبذاق من أعمال قلعة بني سعيد، وتأدب في قرطبة، ثم عاد إلى حضرة غرناطة، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي ابن النغريلي (النغرلة)، ومدح بعد قتله رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح.
انظر ترجمته في: المغرب 2 /182–184 رقم 473 ونفح الطيب 3 /387–388 رقم 173.

(28) الذخيرة ونفح الطيب 3 /387 : «لابن ميمون» .

(29) بدائع البدائه والمغرب والوافي ونفح الطيب : «فإذا» .

(30) الذخيرة : «فإذا بيّت بيتا» .

(31) بدائع البدائه : «المعقبل»، وهو تحريف .

(32) ليس في ديوانه .

(33) أشار محقق خريدة القصر في حاشية ص 194 أن ابن فضل الله العمري نسب البيت الثاني إلى أبي محمد الطيب المصري.

1 - نأتْ باصْطِباري مثلها يصل النَّأيا ولم تُرْعِ منّي هائِماً بدمن الرُّعْيا
2 - وفي الجنَّة الألفافِ للحُسْنِ جنَّةٌ تلازم أنهار الدُّموع بها جَرْيا
3 - غَزاليةُ المرأى هِلاليةُ الرَّنا مَناريَّةُ المَجْلَى نُواريَّةُ اللُّقْيا
4 - رمتنا بألحاظٍ تُلَذُّ سِهامُها فياليتها في القلب لم تُرِمِ الرَّمْيا
5 - فقد صاد ليثَ الغاب ظَبْيُ كنيسة فأَعْجِبْ به لَيْثاً وأَعْجِبْ به ظَبْيا

خريدة القصر 2 /268-269[34].

* * * * *

بعض المآخذ التي دوناها على المجموع :

1. ص 10 قالت المحققة: تذكر المصادر... أنه حدثت في سنة 461 هـ جفوة بين ابن الحدّاد والمعتصم بن صمادح اضطرت شاعرنا إلى الفرار إلى سرقسطة والخدمة في بلاط ملكها المقتدر بن هود وابنه المؤتمن حيث رعياه وأكرماه.

قلت : شرح ابن عبد الملك المراكشي سبب هذه الجفوة، وذلك أن أخا ابن الحداد قتل رجلاً فقبض عليه واعتقل ونالت الشاعر بسببه مطالبةٌ أخفى نفسه من أجلها حينًا، ففصل إلى مرسية ونفذ منها إلى سرقسطة، فاحتلها يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان أحد وستين وأربعمائة، فاغتنم وفادته المقتدر أحمد بن المستعين بن هود وقابله من الإجمال عليه والتحفي به بما لا كفاء له، وأقام في كنفه مدة وامتدحه وابنه الحاجب المؤتمن ثم فصل عنه في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربعمائة، وعاد إلى المرية قاصرًا أمداحه على أميرها المعتصم.

انظر : الذيل والتكملة س 6 ص 11 .

(34) هذه القصيدة تتخللها أبيات أربعة: اثنان منها بعد البيت رقم 2، واثنان كذلك بعد البيت رقم 4، وهذه الأبيات الأربعة موجودة في مجموعة ق 68 /1، 2، 3، 4 ص 96 عن الذخيرة ق 1 م 2 ص 709، ونسبتها مع هذه الأبيات التي ننشرها الآن إلى ابن الحداد أصح من نسبة العماد الأصبهاني لكل الأبيات إلى من اسمه الأسعد بن بليطة القرطبي، ومما يرجح ذلك أن ابن الحداد مشهور بمخاطبة حبيبته النصرانية نويرة — واسمها في الحقيقة جميلة — وذكر الكنائس بكثرة في شعره .

2. ص 16 ذكرت أن ابن الحداد ألف كتابًا في العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية وردّ فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار، وفي التكملة أن اسم هذا الكتاب هو المستنبط .

قلت وصوابه : «الامتعاض للخليل» ذكر في الذخيرة ق 1 م 2 ص 692 والذيل والتكملة س 6 ص 10 والإحاطة 2 /334 ومركز الإحاطة ورقة 19 أو طبقات النحاة واللغويين 1 /19 ونفح الطيب 3 /502، 7 /26 وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي: «هو كتاب مزج فيه الأنحاء الموسيقية بصناعة العروض يرد فيه على سعيد بن فتحون السرقسطي المنبوز بالحمار[35] في ما تعقبه على الخليل وانفرد به من أحكام العروض».

واستدرك على الأخت الكريمة بعض ما فاتها من آثار ابن الحداد المفقودة مما وقفت عليه في بعض المصادر، فمن ذلك:

ــ قيد الأوابد وصيد الشوارد في إيراد الشواذ والردّ على الشُذَّاذ: ذكر في الذيل والتكملة س 6 ص 10 .

ــ المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب مما تقتضيه الدوائر الأربع من الدوائر الخمس التي تنفك منها أشعار العرب: ذكر في التكملة 1 /398 والذيل والتكملة س 6 ص 10 وقال عنه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف: «ولا أرتاب في أنه لو وصل إلينا لكان دليلا قويا على ما قلته في حديثي عن الموشحات[36] من أن الأعاريض

(35) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مُكْرَم ــ بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء ــ التجيبي الملقب بالحمار المشهور في نسبته أنه سرقسطي، ونسبه ابن عبد الملك المراكشي إلى قرطبة، كان متمكنا في علوم اللسان، وألف في العروض مختصرا ومطولا بيّن فيه الموسيقى بزعمه ومقتضبا أشار فيه إلى الموسيقى؛ ومن مؤلفاته أيضا رسالة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها «شجرة الحكمة» ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض، وامتحن من قبل المنصور بن أبي عامر، فسجن ثم أطلق، فاستوطن صقلية إلى أن مات بها. انظر ترجمته في: التشبيهات ص 105، 137، 274–275، 304 ورسائل ابن حزم 2 /185 وطبقات الأمم ص 78 وجذوة المقتبس ص 216 رقم 478 وبغية الملتمس ص 299 رقم 813 والذيل والتكملة س 4 ص 40–41 رقم 94 وبغية الوعاة 1 /586 رقم 1232.

(36) تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات ــ الأندلس) ص 146–163 .

المهملة التي يُنظم فيها والتي أشار إليها ابن بسام ونقلناها عنه هناك إنما هي أعاريض العرب المهملة التي نصَّ عليها الخليل في دوائره العروضية لا أعاريض أشعار رومانسية كما توهم «خوليان ريبيرا» ومن تابعه... ولا أرتاب كذلك في أن كتب ــ ابن الحداد القَيْسي ــ جميعا تؤكد ما ذهبت إليه في فهم كلمة ابن بسام عن نظم الموشحات في الأوزان المهملة التي أشار إليها الخليل في وضعه لدوائره العروضية، وهي مرسومة بدقة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه»(37).

3. في الهامش رقم 6 ص 16 ورد ما يلي :

سعيد بن فتحون السرقسطي، له عدد من المؤلفات في العروض والموسيقى، أما كتابه الذي عارضه ابن الحداد فهو كتاب «الامتعاض للخليل».

وهو غلط وصوابه : كتاب «المطول في العروض ؛ بيّن فيه الموسيقى بزعمه»، ومن تصانيفه الأخرى: «المختصر في العروض» و«المقتضب في العروض ؛ أشار فيه إلى الموسيقى».

انظر : الذيل والتكملة س 4 ص 41 وهامش رقم 35 من الفائت .

أما كتاب **«الامتعاض للخليل»** فهو لابن الحداد كما بيّنا من قبل.

4. ق 3 /1 ، 2 ، 3 ص 40 :

وردت الأبيات التالية منسوبة إلى ابن الحداد :

[**الطويل**]

وزهّدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحبًا بعد صاحب
فلم تُرني الأيام خلًا تسرّني بواديه إلّا ساءني في العواقب
ولا صرت أرجوه لدفع ملمّةٍ من الدهر إلّا كان إحدى النوائب

والصحيح أنها للمعتصم أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح الأندلسي، كما وردت في(38) : الحلة السيراء 2 /84-85 وقلائد العقيان ق 1 ص 152 وشرح مقامات الحريري 2 /341 وخريدة القصر 2 /83 وطراز المجالس ص 136 وتمام المتون ص

(37) المرجع السابق ص 197 .
(38) وفيها في تصديرها : «وقال فيما كتبه إلى أبي بكر بن عمّار الأندلسي يعاتبه:...».

54-55 ووفيات الأعيان 5 /40 والمخلاة ص 239-240 وجوهر الكنز ص 327 وتسهيل السبيل ص 261 ولمح السحر ورقة 59أ والوافي بالوفيات 5 /46 والمطرب ص 160 والدرر الفرائد ورقة 31أ والمحاضرات 1 /349-350 ومغاني المعاني ص 65 وأنوار الربيع 2 /344-345 والمغرب 2 /197.

5. ق 23 /2 ص 57 :

[المتقارب]

فهلَّا خُسِفْتَ وكان الخسو ف جداذًا لبسْتَ على فقْده

قلت : كتابة البيت بهذه الصورة يخل بالوزن، والصحيح أنه غير مدور.

فهلا خسفت وكان الخسوف ... ...

6. ق 56 /1، 2 ص 81-82:

[المتقارب]

وما الناس إلّا فعالهمُ فدع ما تزخرفه الألسن

سجيّة أصل الفتى فعله بما عنده يفرق المعدن

وصواب الرواية :

وما النّاس إلا بأفعالهم فدعْ ما تُزخرِفُه الألسُنُ

سجية أصل الفتى فعْلُهُ بما عِنده يقذِفُ المعدِنُ

كما في الدر الفريد جـ 2 (غير مرقم، انظر: حرف الباء والسين) ولمح السحر ورقة 24أ .

7. ق 57 /24 ، 25 ص 83 : [الكامل]

والروض ما آشتملت عليه شموله لا الورد ملتفتٌ ولا النسرينُ

قد عطّل الأزهارَ زاهرُ حسنه ... ...

قلت : ترتيبهما الصحيح وتمامهما كما في خريدة القصر 2 /279.

والروض ما اشتملت عليه شمُوله لا ما حوتْه أباطح وحزونُ

قد عطّل الأزهارَ زاهرُ حسنه لا الورد مُلْتَفِتٌ ولا النّسْرينُ

8. ق 65 /5 ص 93 :

وعلمت أنّ السعي ليس بمنجح ما لا يكون السعْدُ من أعوانه

وصوابه : من لا يكون .

من نوادر النّحاة

ذكر ابن سعيد الأندلسي [1] في ترجمة أبي الحسن هذيل بن عبد الرّحمان النحوي الإشبيلي [2] : أنّه وصل إليه طالبٌ مُتخلّف ليقرأ عليه.فكان أوّل قراءته عليه قول كثير :

[البسيط]

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الْهَجْرِ وَانْصَرَفَتْ فَحَيِّ وَيْحَكَ مَنْ حَيَّاكَ يا جَمَلُ

فصحّفه وقال : جِئْتُكَ عُرّةَ. فقال أبو الحسن : وكذلك بالله ترجع يا ولدي.

وقال له يوما : يا أستاذ : ما الْكَمَوْج. فقال : وأين رأيت هذه اللّفظة؟ قال : في قول امرىء القيس : [طويل]

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخى سُدُولَهُ

فقال : نعم الكموج. دُوَيْبَةٌ من دواب البرّ تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها.

وقرأ عليه طالب من البربر قال : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا ...) [3] ووقف. فقال لأيّ شيء بالله، ألِطيب شعرك؟ عيسى بن مريم لم يُعلّم لأصحابه ذلك، فكيف أنت؟

وخرج يوما من المسجد الذي كان يُقرىء فيه فوجد سائلا وهو يرعد بالبرد ويصيح : الجوع والبرد يا مسلمين. فأخذ بيده وحمله إلى موضع الشمس، وقال : صِحْ بالجوع، فقد رفع الله عنك البرد.

ابن سعيد : الغصون اليانعة، ص 69ــ70

(1) علي بن موسى أبو الحسن : مؤرّخ أندلسي، من الشّعراء العلماء بالأدب ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة. وقام برحلة طويلة فزار مصر والعراق والشام .توفّي بتونس 685هـ/1286م : (الأعلام : 179/5).

(2) هذيل الإشبيلي : شاعر من ظرفاء الأدباء توفّي 602هـ/1205م (الأعلام : 72/9).

(3) الآية 81 من سورة الزخرف وتمامها (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِين) .

قصائد غير منشورة
في الاستصراخ والإصراخ

بقلم الأستاذ: حسين اليعقوبي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القيروان

ليست لنا في الحال وثائق عربية لا شعر ولا نثرا في استصراخ الرّباضيّين[1] من سكّان جزيرة إقريتش، إخوانهم بالأندلس لمّا غلب كلبُ الرّوم على الجزيرة[2] . ولكنّ مثل هذه الوثائق يتوفّر فيمَا أُثِرَ عن سَاسة صقليّة وعلمائها وأدبائها، نخص بالذّكر منهم ابن حمديس الصقلي[3] . وقد يكون الزّاهد ابن عَسّال[4] من أوائل المستصرخين في الأندلس بعد سقوط بُرْبَشْتُرْ في أقصى شمال الجزيرة بأيدي النصَارى سنة 456 هـ / 1064 م[5] .

ثم كثرت قصائد شعر الاستصراخ في دواوين الشعراء على إثر سقوط حواضر المسلمين الكبرى في أيدي النصارى، بعد تصميم ألفونس السّادس على استرجاع الأندلس من ملوك الطوائف وبعد إخضاع طليطلة لسلطانه[6].

وهذه الكثرة هي التي تفسّر إدراج بعض النّقادِ المعاصرين. هذا الضرب من الشّعر في غرضٍ خاصّ لم يستقرّوا بعد على اختيار اصطلاح نهائي لَهُ.

---

(1) أصلهم من ربض مدينة قرطبة نزحوا إلى إقريتش إثر ثورة الرّبض المشهورة بقرطبة (EI(2) , III /1109).

(2) نفس المرجع .

(3) في ديوان ابن حمديس قصائد كثيرة تتضمن مقاطع في استصراخ الأندلسيين وسكان إفريقية (الديوان تحقيق إحسان عباس ــ بيروت 1960).

(4) ذكره ابن سعيد في المغرب في حلى المغرب القاهرة: 53–1955 ــ ج II ص 21 والمقرّي في النّفح ــ تحقيق إحسان عبّاس ــ ج III ص 208 والحاشية 3 ــ وص 228 وذكر في ج IV / 135 أنّه : أبو محمّد عبد الله وفي الفهارس (ج VIII) أبو عبد اللّه بن العسّال الطليطلي.

(5) د. أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس . الدّار العربيّة للكتاب ــ ليبيا ــ تونس 1984 ، ص 157.

(6) ابن بسّام: الذخيرة : القسم الرابع المجلد الأول (تحقيق إحسان عباس) ــ ص : 169.

ويعني النّقاد بشعر الاستصراخ ما استحدث في الإمارات الإسلامية المصطلح عليها ــ بإمارات الثغور ــ من شعر يقوم على استصراخ الملوك ، وشحذ همَم عزيمة المسلمين للقيام بما يقتضيه الجهاد ضدّ النّصارى من نصرة ونجدة.

واصطلح عليه أيضًا بشعر الاستغاثة وشعر الاستنصار[7]. وقد جرت العادة أنْ ترافق قصيدة الاستغاثة مكتوبًا سلطانيًا يتوجّه به سفير إلى هذا الملك أو ذاك[8] . وقد يرتجلها السفير نفسه على لسان سلطانه وقومه[9] ، وربّما أرسلها تلقائيا تحت وطأة الأحداث واستبداد الوجد بالأوطان أو الخوف من زوال عزّ الإسلام، فقيهٌ في مراسلة غير رسميّة، أو ارتجلها حاجّ راجعٌ من مهمّة عند قبر رسول الله[10].

وعندما لا يقابل هذا النداء باستنفار عسكريّ أو إغاثة ماديّة فإنّه يقتصر في التلبية ــ ربّما عملا بمبدإ أضعف الإيمان ــ عَلَى قصيدة في الإصراخ أو الإغاثة أو النّصرة.

وفي هذا الإطار تدخل القصائد التي حقّقناها وسننشرها تباعًا وهي:

ــ القصيدة الدّالية لأبي إسحاق إبراهيم بن عبيد يسر الأندلسي في استصراخ بني مرين.

ــ القصيدة الدّالية لابن الخراط (مصري) في إصراخ أهل الأندلس .

ــ القصيدة الدّالية لإبراهيم البقاعي (شامي عاش في مصر) في إصراخ أهل سبتة.

وأمّا قصيدتا أبي محمد القفصي (من تونس) في إصراخ أهل الأندلس، وقصيدة ابن حجة الحموي في نفس الغرض: فسعينا للحصول عليهما حثيث[11] .

(7) انظر: عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس (بيروت 1976) فصل شعر الاستغاثة (ص ص: 413-426) وانظر أيضًا في نفس الموضوع شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس ــ بيروت 1983.

(8) انظر : ابن الأبار : الدّيوان تحقيق الهراس ــ تونس 1985 .

(9) انظر : عبد العزيز الأهواني : سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة في القرن التاسع الهجري : مجلة كلية الآداب ــ القاهرة المجلّد XVI ، 1 /1959 (ص ص 95-121).

(10) انظر ترجمة ابن الأزرق في النفح وأبياته في استصراخ سلطان مصر ــ وانظر حول الكتابة إلى تربة رسول الله : ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ــ ط 1 القاهرة: 1980 ــ م 1 ص 55 وما يليها.

(11) ذكرهما ابن شريفة في مقدمة ديوان ابن فركون. ولمّا لم نتمكن من الحصول عليهما من المكتبة الوطنية بالقاهرة سعينا إلى الحصول عليهما من ابن شريفة نفسه.

وقد يعزّز نشرهذه القصائد ـــ المكاتبات : الرسميّة وغير الرسميّة ونصوص الرحلات كشف حقيقة ما كان سائدا من علاقات بين المشرق والمغرب في القرون الوسطى.

وقد درست «راشال آريي» (Rachel Arié) العلاقات الدبلوماسية بين مملكة غرناطة وبني مرين، كما درست في فصل شديد الاقتضاب علاقة بلاط غرناطة ببلاط المماليك بالقاهرة في أطروحتها عن «دولة بني نصر ...»(12).

واستفادت من وثائق مملكة قشتالة خاصّة ومن بعض النصوص العربيّة المنشورة. غير أن استفادتها من الشعر ومن شعر الاستغاثة خاصّة كانت محدودة جدّا(13) على ثراء هذه النصوص بالمعطيات التاريخية التي يمكن أن تُنير جوانب مَازال يكتنفها الغموض إلى اليوم مثل موضوع قصيدة ابن عبيد يسر(14).

وكذلك فَعل الاستاذ: ج ـــ س كلين : G.S. Colin في مقاله: «مساهمة في دراسة العلاقات الدبلوماسيّة بين مسلمي الغرب ومصر في القرن VX»(15) .

وكان في إمكان عبد العزيز الأهواني أن يثري بحثه: «سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة في القرن التاسع الهجري» بقصيدتي ابن الخراط وابن حجة وهما من نفس القرن المدروس وفي صميم الموضوع.

ولمّا كانت هذه القصائد تدخل في المشاغل الدينية والوطنيّة لدى من يرفع شعار «الأمّة الإسلامية» و«دار الإسلام» وتدخل في نسيج العلاقات والمصالح المتبادلة لدى من يرفع الشعار الدّبلوماسي(16) ، فقد رأينا أنّ الاهتمام بتحقيقها يزيد مبحث العلاقات بين المشرق والمغرب في هذه الفترة العصيبة توسيعًا وتعميقًا وتدقيقًا. وذلك من خلال نداءات

(12) إسبانيا الإسلامية في عهد بني نصر (1232 ـــ 1492).
Rachel Arié: L'espagne Musulmane au Temps des Nasrides (1232-1492) Ed. De Baccard. Paris 1973.
ويقع الفصل الأوّل: التحالف مع المرينيّين من ص 69–71. والفصل الثاني: محمد الخامس ومصر في عهد المماليك من ص 118–121.

(13) كان اعتمادها على ما ورد من هذه القصائد في ديوان ابن الأبّار محدودا جدّا بالقياس إلى عدد القصائد. انظر في خصوص هذا الموضوع بحث د. جمعة شيخة حول قيمة ديوان ابن الأبّار الوثائقيّة في مجلّة دراسات أندلسيّة عدد 2 ص 32.

(14) انظر عن هذا الموضوع : ر. آريي (R. Arié) : فصل : ثورة المدجّنين: نفس المرجع السابق ـــ ص ص (63–65).

(15) مذكرات المعهد الفرنسي للآثار الشرقيّة (IFAO) م.LX VIII، القاهرة 1935 ص ص 197–206.

(16) انظر نماذج من المراسلات السّلطانية في نفس الغرض عند ابن الخطيب في «ريحانة الكتّاب» أو عند القلقشندي في صبح الأعشى.

هؤلاء الأندلسيين المتلظين بسعير حروب عنيفة، وتلبية أولئك الذين تربطهم بهم صلات الدّين والجنس واللغة والجوار بله صلات الرحم.

وتروي المصادر التاريخية أنّ أهمّ المساعدات لدعم الأندلسيين ضدّ تحالفات جموع النّصارى في القرن 7 /13، كانت تأتيهم من الدولة الحفصيّة ثم المرينيّة[17] . ولا تذكر المصادر أي سفارة عادت من مصر بغير مكتوب أو قصيدة إصراخ في أحسن الظروف[18].

ولكن هذه المساعدات التي تبدأ تلقائيا سرعان ما يجنح مانحوها إلى استعمالها للسيطرة وكسب مناطق نفوذ. فيضطر الملك المستغيث إلى انتهاج سياسة إبقاء التوازن بين القوى المتصارعة بعقد تحالفات تغيظ السلطان المساعد ولكنها تضمن للمستغيث الاحتفاظ بمملكته.

وهذا ما يفسر تقلّب ملوك بني نصر، فقد حالفوا تاج قشتالة ثمّ استصرخوا ضدّه بني مرين وبايعوا لبني حفص على حساب الموحّدين، ثم أبطلوا الخطبة لهم وخطبوا لبني العباس، ثم والوا بني مرين على حساب الجميع بعد أن لم يبق للموحّدين في الأندلس «أمرٌ ولا نهيٌ» بداية من سنة 633 /1235 بسبب إجماع أهل الأندلس على طردهم ولانشغالهم بمحاربة بني مرين في المغرب وضعف أمرهم.

وكان من نتائج انسحاب الموحّدين من الأندلس ظهور إمارات مستقلة بها، مثل إمارة بني نصر وإمارة بني هود وبني المول وابن محفوظ وأبي عمرو بن خالد، تتصارعُ على ما بقي من الأندلس مما زاد في قوة النصارى ومكنهم من الاستيلاء على مدن جديدة كقرطبة وإشبيلية وجيان[19].

وهكذا تحقق حلم ألفونس المذكور بعد سقوط طليطلة سنة 478 /1085 في أنّه يريد إخضاع «قرطبتهم» لسلطانه[20] .

(17) انظر: بلاد البربر الشرقية في العهد الحفصي د. ر. برنشفيك: باريس 1940 ــ 1947.

(18) ترجمة ابن الخراط في الضوء اللاّمع للسّخاوي، والمكاتب المتعلقة بالأندلس في الرّيحانة.

(19) انظر حول تخاذل المسلمين شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس بيروت 1983 بداية من ص: 172.

(20) ابن بسام الذخيرة : 4 /1 ص 169.

ولم يكن هؤلاء الأمراء المستقلّون أو الوُلاة المنتزون في الحصون على وفاقٍ تامٍّ مع رعاياهم[21] إما بسبب شطط الضرائب المستخلصة لنفقات الحرب وبناء أسوار الحصون[22]. وإما بسبب التّعاهد مع النصارى ضدّ المسلمين لما فيه من خرق لأركان الدّين[23].

في مثل هذه الظروف التي تضطرب فيها الأحوال الدّاخليّة وتنقطع الأمداد الخارجيّة ويقوى فيها ضغط النصرانيّة يلجأ السّلطان إلى الربّاطات مستغيثا بأصحاب الكرامات والصلحاء والزّهاد والفقهاء، يطلب منهم جبر ما تصدع بينه وبين العامة لسبب مّا. فيستند هؤلاء إلى مبدإ «قيام المصلحة» ويفتُون بالجواز خوفًا من تصدع وحدة الأمّة. وقد يتجاوز المطلوب من «العلماء» إصلاح العلاقة مع الرعيّة إلى إصلاح العلاقة مع الممَالك. ففي سنة 653 هـ / 1255 مثلا وفد ابن نصر على أبي مروان اليوحانسي[24] مستغيثا به من أمرٍ تلقّاه من حليفه ملك قشتالة يأباه الدّين، وقد تأباه الرعية فأفتى بتسويغ الأمر رغم أنّ الفقه عنده بخلافه. وقد نجا من تحقيق أمر الملك بكرامة للشّيخ غيرت عليه المنكر[25].

ويشير أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم القشتالي مؤلف كتاب تحفة المغترب ببلاد المغرب[26] وهو كتاب في كرامات الشيخ أبي مروان اليوحانسي[27] إلى زيارتين قام بهما الشيخ أبي مروان إلى مدينة مراكش للاجتماع بالسلطان المريني «برسم استنفار القبائل للغزو ببلاد الأندلس»[28].

لقد فرضت الظّروف أن تتشابك السّلطة السياسية بالسلطة الروحية القائمة في الرباطات. وهي سلطة مؤلفة من كبار الصّوفيّة. انتهزت فرصة ضعف السلطة الحاكمة لتنهض بأمْرِ الدّفاع عن أرض الإسلام بجميع الوسائل بما في ذلك السفارات وإرسال

---

(21) انظر خبر ابن منظور مع أبي مروان ومنه: قال ابن منظور لأبي مروان: «أنت يعرفك أهل الأندلس وأنا رأيت أنّ صلاح هذه الأمة يكون على يدي فبايعني...» : التحفة ص 181.

(22) انظر فتوى بناء الأسوار عند ابن فرحون: الدّيباج ـــ ص 50.

(23) الونشريسي : المعيار : ج 11 .

(24) توفي أبو مروان سنة 667 هـ / 1269 ـــ انظر عنه مقال: د. أمين توفيق الطيبي في: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس: ص ص: 260-276.

(25) القشتالي : التحفة ص 68-69.

(26) حقّقه وقدم له فرناندو دي لاجرانجا Fernando de la Granja مدريد 1974.

(27) نسبة إلى بلدة : يوحَانس (Ohanes) شرقيّ غرناطة.

(28) القشتالي : التحفة ص 274 .

قصائد الاستغاثة. وهكذا صارت وظيفة علماء الصوفيّة في إدارة شؤون الأمّة ورعاية مصالحها العاجلة والآجلة لا تقل أهميّة عن وظيفة السلطان، إن لم تعادلها بل ربّما علو من ثوابت وظيفتهم سياسة السلطان وسياسة الرعية[29]. وهذه الثوابت تؤكدها كثرة المهمّات المنوطة بعهدتهم كما تترجمها أشعارهم. ولاشك أنّ دالية أبي إسحاق إبراهيم ابن عبيد يسر، وهو من كبار المؤلفين في الطريقة[30] تعد نموذجًا للسّلوك السياسي لعلماء الصوفيّة وخاصّة من بقي منهم يعيش مَعَ المُدَجّنين من المسلمين في الأقطار الدّاخلة في طاعة النّصارى مثل أبي إسحاق ليقيم جسرا بينهم وبين المسلمين في الممالك الإسلاميّة.

فمن هُو أبو إسحاق؟ وهل هو صاحب القصيدة؟

ــ طلب الأستاذ جمعة شيخة هذه القصيدة من الأستاذ عبد القادر زمامة (المغرب) منسوبة إلى إبراهيم ابن عبد البَرّ. فأجابه أنّ القصيدة موضوع الرسالة موجودة في مخطوط القرويين رقم 1369 /4 /80 وأنّها من نظم أبي إسحاق إبراهيم بن عبيديس الأندلسي... لملك المغرب لنصرة الأندلس[31].

وقد ذكرت ر. آريي (R. Arie) ثلاثة رجال ينسبون لعائلة عبد البر[32] لا تتفق تواريخ حياتهم وتواريخ الأحداث المذكورة في القصيدة.

وعلى العكس من ذلك فإن تاريخ حياة أبي إسحاق تبدو أكثر تلاؤمًا مع الأحداث والإشارات المذكورة في القصيدة. وهو في المخطوط كما سلف: أبو إسحاق إبراهيم بن عبيديس. ولئن وجدت التّسمية بعبيديس في الشام فإنّه لا أثر لها فيما تصفحناهُ من فهارس وكتب التّراجم لأعلام أهل الأندلس.

(29) يبدو أنّ العقل العربي في القرون الوسطى كان مهيئا ــ تهيئة ثقافية ــ لقبول وظيفة علماء الصوفية (انظر مقدمة ابن خلدون). ويقول الجابري (في لقاء): إنّ الوسائل الصوفيّة لم تعد صالحة في العصر الحديث إلّا «للتعبئة».

(30) ابن فرحون: الدّيباج ص 91 .

(31) مراسلة الأستاذ د. جمعة شيخة بتاريخ : 23 /5 /80 ورد الأستاذ زمامة بتاريخ: 4 /6 /80 وقد تفضّل الأستاذ جمعة شيخة بمدّي بنسخة مصوّرة من الرسالة المشتملة على القصيدة في جويلية 1990.

(32) ر. آريي : إسبانيا: ص 132: ابن عبد البر إبراهيم كان حيًا في: 842 /1439. ص 205: ابن عبد البر إبراهيم كان حيًا في: 730 /1358. ص 157: يوسف ابن عبد البر.

وعلى اعتبار وجود تحريف في التسمية، التمسنا صور رسم أسماء قريبة من صورة رسم عبيديس، وتكون مقترنة بالإسم إبراهيم وبالكنية أبي إسحاق ويكون الرجل عاش بعد سنة 646 /1248 تاريخ سقوط إشبيلية[33] وعاصر المنصور المريني[34] ومن نواحي جيان.

فاجتمعت كل هذه القرائن فيمن لقبه : «عبيد يسر»[35] وهذا بعض نصّ الترجمة:

«إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد [يسر] بن محمود النّفزي. غرناطي يكنّى أبا إسحاق خاتمة الرجال بالأندلس وشيخ أهل المجاهدات وأرباب المعاملات... وكان فقيها حافظا للغات والأدب نحويًا مَاهِرًا.

ألّف في طريقة التصوف وغيرها.

وله من قصيدة :

[بسيط]

إِنّي فقيـرٌ وَمِسْكِيـنٌ بِلا سَبَبِ　　سِوى حُرُوفٍ مِن القرآن أتْلُوهَـا
لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَن يُكَابِـدُهُ　　وَلَا الصبابـة إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَـا

مَوْلده بجيان سنة ثنتين (كذا) وستين وخمسائة وتوفي سنة تسع وخمسين وستمائة».

فإذا صَحّ ما افترضناهُ من كون الرّاء سقطت نتيجة توهّم الناسخ الرّاء تعريقًا للسين. وأنّ سقوط «يسر» نتج عن رداءة طبع الدّيباج. فالقصيدة تكون للمترجم له في الدّيباج. وربّما تكون قيلت بين 646 /1248 و659 /1260 أي في عهد محمد الأول النصري وفي زمن قريب من الزّمن الذي قيلت فيه سينية ابن الأبّار [قالها سنة 635 /1238 هـ].

وقد يكون أبو إسحاق نظم قصيدته وهو بإحدى كور جيّان الخاضعة للنّصارى وتوجه بها إلى ابن نصر[36] [ب 3 ــ ب 14] يسأله إغاثة جيّان، كما توجّه بها إلى المنصور المريني[37] الأبيات 1 ــ 2 ــ 20 ولا نعلم ما إذا كان هذا التوجّه من تلقاء الشاعر أو

(33) أكدنا على هذا التاريخ لأنّ إشبيلية هي آخر المدن الساقطة في أيدي النّصارى من بين المدن المذكورة في القصيدة. [البيت: 7].
(34) البيت 20 .
(35) ذكر في فهرس الدّيباج لابن فرحون: ص 4 بدون ذكر الكنية وأثبت الدّيباج ص 91: الكنية ولكنّه لم يثبت «يسر» ، إثر: «عبيد» فلعلّه سهو في الطبع لأنّه ذكرها في الفهرس.
(36) محمد الأول حكم ما بين (635/1237 ــ 672/1273)
(37) هو يعقوب بن عبد الحق [607 /1210 ــ 685 /1286].

بإيعاز من ابن نصر، وقد كانت عادته تكليف شيوخ الأندلس بهذه المهمّات، ولعلّ الشاعر يحاول في [ب 20] جبر صدع كان بين بني نصر وبني مرين. ويبدو من تعداد الحواضر السّاقطة في أيدي النصارى. ومن حماس الشاعر أنّ القصيدة كتبت في تاريخ قريب من سنة 646 هـ /1248 تاريخ سقوط إشبيلية. زمن حكم فرديناند III (ت 650 /1252) وحكم ابنه الفونس X من (650 /1252 ـ 683 /1284). وربّما كان من آثار هذه المجهودات ثورة المدجّنين التي وقعت 662 /1264 بمساعدة محمد الأوّل، أي بعد وفاة الشاعر بثلاث سنوات[38].

قيمة القصيدة :

إنّ قيمة هذه القصيدة وثائقيّة بالدّرجة الأولى . فهي تبرز في جلاء دور رجال الدّين في الدّعوة إلى الجهاد بالأندلس وتصور تخاذل بعض المسلمين عن إنجاد إخوانهم وانشغالهم بأمورهم الخاصّة. فلا مجال حينئذ للبحث في هذه القصيدة عن المستوى الفنّي لأنها قصيدة فقيه لا يمكن أن تقارن بقصيدة أديب محترف مثل سينية ابن الأبّار أو دالية حازم القرطاجنّي في نفس الموضوع.

(38) انظر: أطروحة ر. آربي فصل: ثورة المدجّنين : ص 63.

القصيـــدة

[الوافـــر]

1 ـــ أَمِيرَ المُسْلِمِين[1] أَلاَ تَعُودُ[2]   لِأَنْـــدلُسٍ بِهَـــا مَرَضٌ شَدِيـــدُ

2 ـــ وَأَنْتَ طَبِيبُهَا ـــ وَاللّهُ يَشْفِي   فَمَـــالَكَ لاَ تَطِبُّ وَلَا تَعُـــودُ[3]

(1) لَقَب تلقّب به المرابطون والمرينيّون وتجنّبوا لقب أمير المؤمنين باعتباره لقبا خاصّاً بالخلافة. وهم لم يدّعوا أنهم خلفاء. والمقصود هنا هو أمير المسلمين المنصور يعقوب بن عبد الحقّ المريني ولد سنة 607 /1220 وبويع 656 /1257 وتوفّي بالجزيرة الخضراء بالأندلس 685 /1286.

(2) عبر المنصور إلى جزيرة الأندلس أربع مرّات للجهاد من سنة 674 /1275 إلى سنة 684 /1285 (عبد الله كنون : النّبوغ المغربي ط. 1 ص 689).

(3) من عاد المريض زاره .

3 ــ فَجَيَّانُ[4] تُنَادِيكَ ابْنَ نَصْرٍ[5] أَلا مَالٌ يَعُــودُ أَلا جُنُــودُ
4 ــ وَأَنْتَ مَلِيكُهَا[6] الضِّرْغَامُ تُدْعُو بِنَصْرِ الدِّيــنِ لَوْ نَفْسٌ تَجُــودُ
5 ــ حَمَى جيَّان سَيْفٌ لابن نَصْرٍ وَهَلْ يَحْمِي الحِمَــى إلَّا الأُسُودُ
6 ــ وَقُرْطُبَــةٌ[7] أَقَامَ الشِّرْكُ فِيهَــا وَمَا يَغْــزُو القَــرِيبُ وَلا البَعِيــدُ
7 ــ وَإِنْ ثُغُورَهَا وَثُغُورَ حِمْصٍ[8] تَمَلَّكَهَــا العَــدُوُّ لَنَــا المُبِيــدُ
8 ــ وَأَبَدَةٌ[9] يَعِيثُ بِهَا النَّصَارَى وَنَــارُ الكُفْــرِ لَيْسَ لَهَــا خُمُــودُ
9 ــ وَهَــلْ بَيَّاسَةٌ[10] إلَّا يُــؤْسٍ فَطِبْ صَدْرًا إذَا طَابَ الــوُرُودُ
10 ــ وَهَا قَيْجَاطَةٌ[11] تَرَكَتْ شَكَاةً وَيشكوهَــا مهنّــد من يَسُودُ
11 ــ وَشَوْذَرُ[12] ثُمَّ مرتش[13] لوتراها ونـار الكفـر يضرمهـا اليهــود[14]
12 ــ تراهم يخدعون النّاس صلحًا وَأَمْــرُ النّــاسِ لَيْسَ بِهِ جُحُــودُ

---

(4) جيّان : انظر مادّة Djean في EI_2, II, P. 528 : هي الموطن الأصلي لبني نصر تملّكها محمد الأوّل سنة 2-631 /1234. ثم تحوّل عنها إلى غرناطة سنة 634 /1237 التي ستصبح حاضرة ملكهم. سقطت نهائيا في يد قشتالة سنة 644 /1246 .

(5) المقصود هو محمّد الأوّل مؤسس الدّولة النّصريّة (أو دولة بني الأحمر) في القسم الجنوبي الشّرقي من شبه الجزيرة الإيبيريّة ، وقد توفّي 672 /1273 .

(6) يفهم من هذا البيت أن الشّاعر قال قصيدته وجيّان مازالت بيد ابن نصر فهو «مليكها» أي قبل سنة سقوطها بيد النّصارى سنة 644 /1246. وهذا يتعارض مع ما جاء في البيت الأوّل لأنّ المنصور لم يبايع إلّا سنة 656 /1257. لذا يمكن أن نفترض أنّ تسمية ابن نصر بملك جيّان هو من باب التّحريض لاسترجاعها .

(7) هذا البيت يدلّ على أنّ القصيدة قيلت بعد سقوط قرطبة نهائيًا بيد النّصارى سنة 633 /1236 .

(8) حمص : إشبيلية سقطت نهائيا سنة 646 /1248 ، بيد فرديناند وكان محمّد الأوّل بفرسانه معه في حصارها وإسقاطها .

(9) أبّدة : هناك أبّدة المريّة، وأبّدة جيّان وتسمّى أبّدة العرب، والمقصود الثانية، سقطت سنة 609 /1212 بعد معركة العقاب الشهيرة (ابن عذاري : البيان : 2 /178 ، 284).

(10) بيّاسة : من كورة جيّان تقع شرقيّ قرطبة، مطلّة على النّهر الكبير بينها وبين جيّان 20 ميلا (الحميري: الرّوض ص 57) .

(11) قيجاطة : من عمل جيّان ، قبل سقوطها نهائيا تعرّضت إلى كثير من المآسي عند احتدام الصّراع بين عبد الله البيّاسي الثّائر والخليفة الموحّدي العادل، وتواصلت مأساتها التي يشير إليها الشّاعر هنا إلى أن سقطت بسقوط مدينة جيّان (الرّوض الحميري: 165) .

(12) شوذر : تقع شمالي غرناطة، سقطت في أحداث جيّان (المقّري: النّفح : 3 /34) .

(13) مرتش : بلدة حصينة تقع جنوب غربيّ مدينة جيّان وشمال شرقيّ مدينة بيّانة (ابن الخطيب : الإحاطة : 1 /1 /391).

(14) يبدو أنّ اليهود لعبوا في هذه الفترة المضطربة من تاريخ الأندلس دورًا دنيئا تمثّل، كعادتهم، في استغلال الظّروف لنهب أموال العباد وأملاكهم. وهذا أمر لم يتحدّث عنه المؤرّخون مطلقا.

13 ــ فَلا مَالٌ بِخِدْعَتِهِمْ تَبَقَّى   وَلَا نَاسٌ وَلَا نَظَرٌ سَدِيدُ
14 ــ فَلَوْ لَا نُصْرَةٌ لِسَلِيلِ نَصْرٍ   تَمَلَّكَهَا النَّصَارَى وَالعَبِيدُ
15 ــ إِلَاهَ العَالَمِينَ إِلَيْكَ يَشْكُو   فَقِيرٌ لَا يَقُومُ لَهُ قُعُودُ
16 ــ فَأَنْتَ المُسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ   وَكُلُّ الجُنْدِ جُنْدُكَ يَا مَجِيدُ
17 ــ فَنَصْرًا يَا إِلَاهَ الخَلْقِ نَصْرًا   فَأَنْتَ اللَّهُ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ
18 ــ وَلُطْفًا بِالجَزِيرَةِ يَا إِلَاهِي   فَمَا إِنْ فِي مَضَرَّتِهَا مَزِيدُ(14)
19 ــ فَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ فِيهَا   شَقِيتُ بِهَا وَمَا يَشْقَى السَّعِيدُ
20 ــ وَمَا المَنْصُورُ إِلَّا مُسْتَجِيبٌ   وَعَهْدُ النَّاصِرِينَ لَهُ جَدِيدُ
21 ــ وَجَمْعُ المُؤْمِنِينَ لَهُ انْتِصَارٌ   فَأَلِّفْهَا بِوُدِّكَ يَا وَدُودُ
22 ــ وَمَنْ أَمْدَدْتَهُ نَصْرًا وَرُشْدًا   فَذَاكَ النَّدْبُ وَاللَّهِ الرَّشِيدُ
23 ــ فَهَلْ مِنْ يَقْظَةٍ تُحْيِي نِيَامًا   فَأَيْقَاظُ الجَهَالَةِ هُمْ رُقُودُ
24 ــ وَمَا الكُفَّارُ إِلَّا فِي عَذَابٍ   وَقَدْ كُشِفَ الغِطَاءُ فَلَا مَحِيدُ(15)
25 ــ وَمَا الإِسْلَامُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ   تَوَارَثَهُ الأَكَابِرُ وَالوَلِيدُ
26 ــ وَغَيْظُ صُدُورِنَا مِنْهُمْ مُصِيبٌ   يُصَابُ بِهِ مِنَ الكُفْرِ الوَرِيدُ
27 ــ وَكَمْ مِنْ نَفْحَةٍ لِلَّهِ تَتْرَى(16)   فَلَوْلَا اللُّطْفُ مَا بَقِيَ الوُجُودُ
28 ــ فَمَتِّعْنَا بِنَصْرٍ مِنْكَ يُشْرَى   فَلَوْلَا القَطْرُ(17) أَهْلَكَنَا القُعُودُ

مجلات

ظهرت المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة عشر العدد 57-58 جويلية 1990 (573 ص.) . والعدد 59-60 أكتوبر 1990 (346 ص.) زاخرين ببحوث متنوّعة لأساتذة مختصّين.

---

(14) يستعمل الشاعر هنا بعض الألفاظ الصوفية: فقير، جند، لطف الخ... وهذا الاتجاه في الشعر الأندلسي يعبر عن الاستنجاد بالرسول والله لا يصدر إلّا بعد أن تقنط النفوس من نجدة الأرض فتشرئبّ الأعناق إلى نجدة السّماء .

(15) في البيت تضمين لمعنى الآيتين «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع» (1 المعارج 70) . نفس المعنى في الآية 3 ــ التوبة 9 ، بالآية 7 ــ فاطر 35.

(16) تترى يترى : يتعاقب ويتتابع .

(17) القطر : لعلّ المقصود به الرّحمة من الله تعالى .

تقديم ديوان ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي

بقلم الأستاذ: الحبيب شبيل
كلّية الآداب والعلوم الإنسانية
بالقيروان

صدر أخيرًا ديوان ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي[1] ، بتحقيق د. منجد مصطفى بهجت الأستاذ بكليّة الآداب بجامعة الموصل. ويشتمل على 192 صفحة. وهو مقسّم إلى قسمين: الأوّل بعنوان: الدّراسة والثاني بعنوان التحقيق.

وقد بيّن المحقّق في المقدّمة ظروف اهتمامه بشعر ابن الجنّان؛ فقد تفطّن إلى أهميّة شعره في المديح النبوي حينما كتب في مجلّة «آداب الرّافدين»[2] عن هذا الموضوع وتبيّن له سبق الشاعر كلّ من كتب في هذا الموضوع.

في القسم الأوّل، وهو بعنوان الدّراسة، مهّد د. منجد مصطفى بهجت لدراسة شعر ابن الجنّان بمقدّمة خصّصها لعرض موجز لأهمّ مظاهر الحياة السياسية في القرن 7 /11 زمن مجد الدولة الموحّدية، تلاها حديثه عن الحياة الثقافية التي فيها «انتعشت الدّراسات القرآنية والحديث الشريف، وانحسرت الدّراسات المقيّدة بالمذهب المالكي، وعادت كتب الغزالي وانتشرت.»[3] .

وعرض المحقّق بعد ذلك لأسماء بعض العلماء الذين اشتهروا بعلوم التفسير أو الفلسفة أو تراجم الأدباء ليلاحظ بعد ذلك أنّ تيّار المديح النبوي في ذلك العصر قد قوي وكان ابن الجنّان أبرز الشعراء فيه.

---

(1) ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السّابع الهجري. جمع وتحقيق ودراسة الدكتور منجد مصطفى بهجت. مطابع التعليم العالي. العراق . 1410 هـ — 1990 م.

(2) مجلّة «آداب الرّافدين» العدد 13. جامعة الموصل سنة 1981.

(3) ديوان ابن الجنان. ص 6 ، 7 .

إنّ أهمّ ما يمكن ملاحظته في ما يتعلق بحديث المحقّق عن الإطار الذي نشأ فيه الشاعر، عدم اهتمامٍ بالحياة الاجتماعية التي تراها عنصرًا أساسيًا في انتشار تيار المديح النبوي في الأندلس في القرن 7 /13. فهذا الشعر ــ دون شكّ ــ كان يُلاقي رواجًا بين الجمهور لظروف اجتماعية كانت تكيِّف واقع المجتمع الأندلسي آنذاك.

بعد هذا التمهيد عرض الدكتور منجد مصطفى لمظاهر من حياة ابن الجنان وسيرته فلاحظ أنّه «عاش في القرن 7 /11، عصر الموحّدين، حيث شاهد في حياته بالأندلس مجد الدولة الموحّديّة، كما شهد انحسارها وضعفها»[4] . واستند في الترجمة لابن الجنان على شعره حينا، وعلى آراء بعض العلماء حينا آخر. وعمومًا فإنّ المحقّق في هذا القسم سعى أن يهتمّ بكلّ دقائق حياة ابن الجنان مثل تعلّقه بأبيه، وتعلّمه، وخلقه، وفضله وصلته المتينة بأبناء عصره ذلك أنّه «على الرغم من ميله الشديد للزّهد في الحياة وعدم انحيازه لأمراء عصره، فإنّه لم يكن ذاهلا عن مجتمعه نائيًا عنه، بل كانت له مشاركات»[5].

حاول المحقق في هذا القسم المتّصل بحياة ابن الجنان جمع عناصر مختلفة عن الشاعر: وهذا المنزع قد جعل الحديث يتّسم بميسم الجمع من غير تحليل لأثر العوامل التي تحدّث عنها في تكييف رؤية الشاعر إلى الحياة؛ وحتى الحديث عن ثقافة ابن الجنان جاء خاليا من توظيف المعلومات لمقصد الترجمة للشاعر.

والفصل المنهجي بين عنصري عرض ملامح العصر من ناحية والترجمة للشاعر من ناحية أخرى ينبغي أن لا يؤدي إلى قطيعة مفهومية بين العناصر.

بعد الترجمة لابن الجنان، انتقل الباحث إلى العناية بديوان الشاعر وبمصادر شعره. وبعد الإشارة إلى أنّ مصادر هذا الشعر أوشكت أن تضيع، وأن ما وصلنا منها كان برواية واحدة تعرّضت إلى كثير من التصحيف والتحريف، لاحظ أنّ ما جمعه من الشعر هو 54 قصيدة يبلغ عدد أبياتها زهاء 1300 بيتٍ. ثمّ حدّد مصادر تلك القصائد وحلّلها مصدرًا مصدرًا في علاقتها بشعر ابن الجنّان؛ وأهمّها مخطوط «زواهر الفكر وجواهر الفقر» لابن المرابط (ت 663 /1264) الذي يُعتبر من أوثق المصادر لهذا الشعر لأنّ صاحبه كان ينقل مشافهة عن الشاعر.

---

(4) نفسه ص 9.

(5) نفسه ص 12-13.

لقد بدا تحديد المحقق لمصادر شعر ابن الجنان هامًا؛ فإضافة إلى أنّه قد اتّسم بالدّقة والرّصانة في رصدِ منزلة شعر ابن الجنان في المصادر القديمة؛ فإنه قد ألحّ على إهمال المحدثين له، فلم يقف عند ذكر شعره غير يوسف النبهاني في كتابه «سعادة الدّارين» وشكيب أرسلان في كتابه «الحلل السندسية»، بما يدلّ ـــ في نظر المحقّق ـــ أنّ الشّاعر قد «نال الحيف والإهمال من الدّارسين المُحدثين».

بعد هذا انتقل صاحب التحقيق إلى دراسة شعر ابن الجنان، فخصّص لذلك عنصرين: العنصر الأوّل سمّاه: موضوعاته الشعرية. والعنصر الثاني سمّاه: السّماتُ الفنيّةُ.

وأهمّ ما لاحظه المحقّق في ما يتصل بموضوعات شعر ابن الجنّان، أنّ الشاعر نظم «في موضوعات الشعر العربي المعروفة، باستثناء الموضوعات التي باينت سلوكه الديني وسيرته القويمة»[6] . وهو يعني بها ما سمّاه في ما بعد الغزل الماجن والهجاء. ثم تناول بالتحليل أهمّ موضوعاته الشعرية وأهمّها «الإلاهيات والنبويات» التي تؤلّف نسبة 44% من مجموع قصائد الديوان.

بعد ذلك وقف المحقق على أهمّ قصائد الإلاهيات والنبويات ليؤكّد من خلال النّظر فيها المواجد المستعرة التي سيطرت على ابن الجنان في هذا الشعر: وهو إلى ذلك يعدّد معجزات النبيء ويذكر خصاله السّامية وصفاته الرّفيعة.

ثم نظر في شعر الإخوانيات والمراجعات ليلاحظ أنّ القصائد في هذا المجال قد اقترنت بالمناسبات «كالتهاني والتّبريك بدخول أحد العيدين: الفطر أو الإضحى، أو تهنئة بمولودٍ، والتعازي والمواساة بفقدان عزيز وحلول نكبة طارئة أو مرض عارض.»[7] .

وبعد النّظر في قصائد هذا الغرض، تحوّل المحقق إلى إبراز معاني الرّثاء فلاحظ أنّ عدد القصائد لا يتجاوز السّبعة، لكنها جاءت طويلة وهي «في اتجاهها العام تميل إلى الندبِ والتفجّع وإظهارِ اللّوعة والجزع من المُصاب الجَلل الذي رزئه الشاعر.»[8] .

لقد امتاز هذا القسم من عمل د. منجد مصطفى بمنهج بيّن في تناول الخصائص المعنوية لشعر ابن الجنّان، فإضافة إلى أنّه قد أحاط بكلّ الأغراض الشعرية، فإنّه وقف عند كلّ القصائد يستجلي معانيها المتواترة والشاذة مفضّلا ذلك على النّظر الرّصين في النّص.

---

(6) نفسه ص 19.
(7) نفسه ص 30.
(8) نفسه ص 42.

وفي ما يتعلّق بما سمّاه المحقّق «السمات الفنيّة» لشعر ابن الجنّان فإنه لاحظ فيه سمات الطبع الشعري مع عنايته «بالصوغ والصبغ». وتوقف عند غرض المديح النبوي ليعلّل سبب انتشاره في الأندلس بما نال البلاد من هجمة النّصارى فلجأ المسلمون إلى جناب الرّسول الكريم يمدحونه فوجدوا في ذلك متنفّسًا...؟!!.

ولاحظ أنّ أهمّ خصائص قصيدة المديح النبوي «استبطان لمفاهيم كثير من الآيات والأحاديث.»[9] يدرجها الشاعر مستخدما أسلوب الاقتباس الإشاري، وسبب ذلك عند المحقّق التأثر بالمذهب المالكي الذي يكره الاقتباس من القرآن اقتباسًا مباشرًا.

وفي حديثه عن أغراض الشعر الأخرى بيّن أنّها وثيقة الصّلة «بمفردات حياته اليوميّة، لذلك كان شعره في هذه الأغراض بعيدًا عن التكلّف. وقد جاءت جلّ القصائد مؤسسة لما سمّاه المحقّق «الوحدة الموضوعيّة في القصيدة الشعريّة»[10]. ومعنى ذلك في نظره أنّ القصيدة لا تشتمل على أكثر من موضوع واحد. وإن وُجد هناك موضوع آخر فإنه يكون شديد الإلتصاق بالموضوع الأوّل.

ونتوقف هنا لنبيّن أنّ مفهوم وحدة القصيد في النقد الأدبي، لا ينفي تعدّد المواضيع في القصيد الواحد مثلما ذهب إلى ذلك المحقّق، وإنما الوحدة الفنية للقصيد تكمن في ما ينشأ بين المواضيع المختلفة في النصّ من تناغم، كذلك تكمن في تناغم الأساليب في ما بينها ، وتناغمها مع المواضيع.

ثمّ نظر في لغة شعر ابن الجنان وأساليبه. ففي ما يتّصل باللغة لاحظ المحقق أنّ الشاعر اعتمد أسلوبين مختلفين هما:

1) لغة سهلة ميسورة ، وهي لغة قريبة من لغة النثر ، وكأنّ الشاعر يريد بذلك أن يقرّب شعره لأكبر عدد من النّاس، وهذه ميزة أشعار المديح النّبويّ وأشعار الزّهد عامّة.

2) لغة متينة الألفاظ وأسلوب متماسك التّراكيب. وخاصيّة هذا الأسلوب أنّه يعتمد فنون البلاغة من جناس وطباق ومقابلة وتكرار ولزوم مالا يلزم. وما إلى ذلك.

(9) نفسه ص 51.
(10) نفسه ص 52.

وقد تتبّع المحقّق تجلّي هذه الأساليب في شعر ابن الجنان. ومن أهمّ الملاحظات التي نجدها في هذا القسم الحديث عن المعارضات في شعر ابن الجنان، ولعل أهمّ معارضة تلك القصيدة التي عارض بها الشّاعر قصيدة علي بن الجهم المشهورة :

[طويل]

عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ   جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

وعن الأوزان والقوافي التي يعتبرها المحقق «العنصر الرّئيسي في القصيدة الشعرية»[11] لاحظ أنّ ابن الجنان استخدم أقلّ من نصف بحور الخليل بن أحمد (7 بحور فقط)، واعتمد الشاعر ما سمّاه المحقّق «البحور الطويلة الهادئة» وهي في نظره الطويل والكامل والبسيط والوافر، كما اعتمد ما سمّاه المحقّق أيضا «البحور السّريعة المضطربة» التي لا تمثّل غير نسبة 25% من بحور الدّيوان، وهي المجتث والخفيف والمنسرح.

ولا تبدو المفاهيم النقديّة المتّصلة بتقسيم بحور الشّعر إلى هادئة ومضطربة مقنعة، فهي تحمّل البحر خصيصة ليست بالضرورة فيه، فالاضطراب أو الهدوء ليس مرجعه البحر الشعري، ولكنّه نسق يجري في النصّ الشّعري، وتتظافر في آدائه والتعبير عنه تناغم المظاهر الفنيّة مع معاني القصيد.

وفي ما يتعلّق بالقوافي، لاحظ المحقق أنّها جاءت موافقة لما هو شائع في الشّعر العربيّ بشكل عامّ، فدرس توزّعها في النصّ معتمدًا تقسيم أبي العلاء المعرّي لأنواع القوافي إلى «الذلُل والنّفر والوُحش». وهو يدرس القوافي هنا باعتبارها حروفًا ساكنة، لذلك رأيناه في ما بعد يتحدّث عن أنواع القوافي من حيث الحركات، فلاحظ أنّ «المتواتر» هو أكثرها حضورًا، أمّا أقلّ القوافي تواترًا فكان المترادف ونسبته 4%.

كان غرض الباحث في هذا القسم الذي سمّاه الدّراسة، تحديد خصائص شعر ابن الجنان الأنصاري إلى جانب التعريف بصاحبه. ولم يخل هذا الجزء من فائدة رغم المآخذ الواضحة التي بيناها في سياق العرض، فهو يسلّط الضوءَ على شاعرٍ مغمورٍ، ويدرس دراسة في منتهى الكلاسيكية ـــ أدوات نقد ونتائج ـــ أهمّ خصائص هذا الشعر. إلّا أنّ النّظر في مادّة الشعر المحقّق، يدعو إلى تطوير أدوات النقد ومفاهيمه فمثلا بدلًا من دراسة الأوزان والقوافي في قسم مستقلّ، كان يمكن تخصيص عنصر كامل لدراسة الإيقاع في شعر ابن الجنان، ذلك أنّ

(11) نفسه ص 61.

الإيقاع لا ينشأ من الوزن والقافية فقط وإنما تدعّمه عناصر أخرى أشار إليها المحقق في مواضع متفرّقة من هذا القسم كالتكرار والتجنيس وردّ الأعجاز على الصدور، لكنّه لم يبين مدى مساهمتها في تأكيد ظاهرة الإيقاع في النصّ الشّعري.

القسم الثاني من عمل د. منجد مصطفى كان تحقيق الديوان، وقد رتّب القصائد ترتيبا ألفبائيا، واعتمد في التحقيق خاصّة على مخطوط «زواهر الفكر وجواهر الفقر» لابن المرابط، وعاد إلى مصادر الأدب الأندلسي المطبوعة ليقارن بين المخطوط والمطبوع ويثبت أرجح الرّوايات وأصوبها. والملاحظ أنّ هذا القسم من العمل جاء على قدرٍ كبيرٍ من الدّقة والضّبط، فيه جهد أكاديمي محمود في تحقيق النصّ، فإضافة إلى أنّ المحقّق اتبع كلّ نصّ شعري بالإشارة إلى البحر المنظوم فيه، فإنّه بذل جهدًا كبيرًا في الإشارة إلى مواطن التصحيف والتحريف في المخطوط وتصحيح ما أمكن تصحيحُه منها، إضافة إلى سعيه لشرح الكلمات الصعبة وإشاراته الكثيرة إلى الآيات القرآنية التي استوحى منها الشاعر معانيه، أو التعريف ببعض الأعلام الذين جاء ذكرهم في الشعر.

واتبع المحقّق هذا العمل بما سمّاه «التخريجات» حيث حدّ فيها مصدر أو مصادر كلّ نصّ ثمّ اتبع ذلك بفهرس قصائد الديوان، ونلاحظ أنّ الفهرس هامّ لأنّه إضافة إلى ذكره رقم القطعة وصفحتها في التحقيق فإنّه يذكر صدر البيت والقافية ونوعها وعدد الأبيات في القصيد والبحر. وكلّ هذا ينمّ عن الجهد الدّقيق في تحقيق النّصّ.

ونؤكّد في النهاية أنّ جهد د. منجد مصطفى بهجت في تحقيق هذا الديوان هامّ، وإن بدا لنا الاختلاف بين قسمي الدّراسة وتحقيق الشعر واضحًا فقسم التحقيق جاء متسما بالدقة الكاملة ممّا يجعل الديوان من هذا الجانب مكتملا، أمّا قسم الدّراسة فقد بدا محتاجا إلى مراجعة أدقّ، وخاصّة إلى أدوات عملٍ في النقد الأدبي تحيي الأثر وتجدّد الرؤية إليه بما يجعله متماهيًا مع تقدّم النقد الأدبي. ولاشكّ أنّ مراجعة أدوات النقد يتبعه تطوّر أعمق في النتائج .

غناء الذباب ورقص البراغيث

قال أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس، مخاطبًا لصاحبه يستهزىء به : [الكامل]

لَكَ مَجْلِسٌ كَمُلَتْ بشارتُنا به ... لِلَّهو لَكِنْ تحت ذاكَ حديثُ

غَنَّى الذُّبابُ وظَلَّ يَزْمُر حولَه ... فيه البعوضُ ويرقصُ البُرغوثُ

ابن دحية: المطرب ص 70

الأندلس في شهادة الكفاءة
للبحث العلمي بكليّة الآداب ـــ تونس

(القسم الثالث)[1]

بقلم: د. جمعة شيخة

البحث عدد 21

ـــ الباحث : المنصف بن عبد الجليل .

ـــ عنوان البحث : أصول الفقه بين ابن حزم والآمدي من خلال كتاب «الإحكام في أصول الأحكام » .

ـــ نوعه : في أصول الفقه .

ـــ الأستاذ المشرف : عبد المجيد الشرفي .

ـــ تاريخ تقديم البحث : أكتوبر 1984 . رقمه بمكتبة الكليّة (3218).

التعريف بمحتوى البحث

يبدأ الباحث بالترجمة لابن حزم وهو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة سنة 384 /894، كان والده وزيرا في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر المتوفي سنة 392 /1002. توفّي سنة 456 /1064.

(1) انظر القسم الأوّل في العدد الثالث في هذه المجلّة لسنة 1989 ص 61، والجزء الثاني في العدد الرابع لسنة 1990 ص 80 .

ثمّ عرّف بكتابه «الإحكام في أصول الأحكام.» فذكر أنّه مصنف في الأصول يعرض فلسفة متكاملة المقدّمات والنتائج، إطارها النّظريّة الظّاهريّة. فليس الكتاب في الفقه ولا هو في الجدل المذهبي وإن تضمّن ردّا ظاهرًا على شيوخ المذاهب الأربعة لأنّ هذا الجدل أصولي أساسا. وجعله ابن حزم في 40 بابا. وقد طبع الكتاب بمطبعة السّعادة تحقيق أحمد شاكر في 8 أجزاء سنة 1348 هـ.

ثمّ ترجم الدّارس لسيف الدّين الآمدي (551 /1156 ـ 631 /1233) وعرّف بكتابه «الإحكام في أصول الأحكام.»: وهو كتاب يحتوي على مقدّمة وجيزة وأربع قواعد، تطرح كلّ قاعدة جملة من القضايا والمسائل. طبع الكتاب بمطبعة محمد علي صبيح (القاهرة 1347) بتحقيق عبد الحفيظ سعد عطيّة

ويعتبر كتاب ابن حزم أحد مصادر الآمدي وإن لم يذكر هذا الأخير ذلك. فواضح من أوّل نظرة في الكتابين أنّ الآمدي تابع أبواب كتاب ابن حزم متابعة دقيقة حتى كان تبويب القضايا والمسائل متشابها إن لم يكن متماثلا أحيانا في الكتابين. فقد عني المؤلّفان بتحديد المنطق النّظري أوّلا، ثمّ عرضا قضيّة الأصول النّقليّة ثانيا، وأفردا المرحلة الثالثة للنّظر في الرّأي أو القياس أو الاجتهاد أصلا من أصول الأحكام، وقد أبطله ابن حزم وأثبته الآمدي.

لهذا السّبب قسّم الباحث عمله إلى بابين:

1 ـ خصّص الباب الأوّل للنّظر في الأصول النّقليّة السّمعية عند ابن حزم والآمدي منطلقا في ذلك من المسلّمات التي تبنّاها.

2 ـ وأفرد الباب الثاني لدرس الأصول العقليّة وهي الاجتهاد والقياس أساسا.

وسعى الباحث إلى الالتزام بمنهجيّة دقيقة المراحل، فبدأ في كلّ مسألة بتحديد الإشكاليّة ليحلّل بعد ذلك جوانبها الأساسيّة. ولا يخلو هذا العمل من تقييم أساسه النّظر في صلة الأصول الفقهيّة بواقعنا الحضاري عسى أن يُفهم جذور التأزّم الإسلامي في مجتمعاتنا المعاصرة.

البحث عدد 22

ـ الباحث : حمّودة قعيّب.

ـ عنوان البحث : تعريب من الإسبانيّة نماذج من الأدب الألخاميادو الموريسكي.

ـ نوعه : أدب ـ حضارة.

ـ الأستاذ المشرف : جمعة شيخة.

ـ تاريخ تقديم البحث : جوان 1985. رقمه بمكتبة الكلّية (1523).

اعتمد الباحث على دراستين :

1 ــ الأولى : قام بها عثمارهجي وعنوانها : «خمس أساطير : وقصص أخرى موريسكيّة» .

2 ــ الثانية : لمرثداس ألفارث وعنوانها : «المخطوط المتنوّع عدد 774 بالمكتبة الوطنيّة بباريس» .

وبدأ دراسته بمقدّمة أبرز فيها الأسباب التي دعته لاختيار هذا الموضوع. ثمّ حاول التّعريف بالموريسكيّين وبالأدب الألخميادو الموريسكي، وانتهى إلى أنّ الموريسكيّين هم المسلمون الإسبان المنحدرون ــ كلّهم أو جلّهم ــ من أصل عربيّ ، وقد أجبروا بعد زوال السّلطة الإسلاميّة بالأندلس في القرن 9 /15 على التنصّر.

أمّا الأدب الألخامیادو الموريسكي فهو ما خلّفه هؤلاء الموريسكيّون من أدب وفقه وعلوم شرعيّة وعقائديّة في لغة إسبانيّة كُتبت بحروف عربيّة.

ثم قام الباحث بتعريب بعض النّماذج من هذا الأدب:

1 ــ حول الجدل العقائدي :

أ ــ بين المسلمين والمسيحيّين من خلال أسطورة شرحبيل بن شرجون.

ب ــ بين المسلمين واليهود من خلال أسئلة طرحها جماعة من اليهود على النّبيء محمد (ﷺ) .

2 ــ التنبؤ بمصير إسبانيا من خلال أسطورة الفضائح التي سوف تحدث في آخر الزّمن بجزيرة إسبانيا، وكذلك من خلال نبوءة محمّد (صلعم) حول إسبانيا.

3 ــ أدعية وابتهالات من خلال دعائين مكتوبين بالعربيّة والإسبانيّة: الأوّل من مخطوط مدريد والثاني من مخطوط باريس.

4 ــ مسائل فقهيّة إسلاميّة في الصّلاة والوضوء والصّوم في شهر رمضان.

5 ــ أساطير إسلاميّة حول الصّحابة كحديث عمر بن الخطّاب عندما سمح الله له برؤية الموتى.

البحث عدد 23

ـــ الباحثة : فاطمة الصدّيق .
ـــ عنوان البحث : الرّبط بين الجمل في ديوان ابن زيدون .
ـــ نوعه : لغة .
ـــ الأستاذ : محمد الهادي الطرابلسي .
تاريخ تقديم البحث : 1985 . رقمه بمكتبة الكلية (3380) .

التعريف بمحتوى البحث

لقد انتظم هذا البحث في مقدّمة وثلاثة أبواب :

1 ـــ الباب الأوّل يشكّل القسم النّظري. وقد حاولت الباحثة أن تبرز فيه مدى اهتمام النّحاة والبلاغيّين بهذه القضيّة، وكيف أسّست في البحث البلاغي باعتبار البلاغة تمثّل جهازا نقديا هامّا يتناول النصّ في مستواه الإنشائي وبعده الإبداعي.

2 ـــ أمّا الباب الثّاني: فهو يمثّل القسم الوصفي. وقد درست فيه أنواع الرّبط بين الجمل في الدّيوان وتتبّعت الدّلاليّة والأسلوبيّة. وقد ركّز هذا القسم على المنهج الإحصائي وتحليل النّماذج.

3 ـــ وأثارت في الباب الثّالث ـــ وهو القسم النّقدي ـــ إشكاليّة متولّدة أساسا عن قضيّة الرّبط بين الجمل في الشّعر خصوصا، وهي مدى مطابقة الجملة النّحويّة للوحدة العروضيّة على نصّ شعري كلاسيكي.

البحث عدد 24

ـــ الباحث : مبارك الخضراوي .
ـــ عنوان البحث : أخبار ابن وهبون وبقيّة أشعاره .
ـــ نوعه : أدب .
ـــ الأستاذ المشرف : صالح الكّاري .
ـــ تاريخ تقديم البحث : أكتوبر 1985 . رقمه بمكتبة الكلية (3385).

التعريف بمحتوى البحث

قام الباحث في المرحلة الأولى من البحث بالتعريف بابن وهبون باعتباره من الشعراء المغمورين، وحاول تحديد ملامح حياته وأطوارها، وذكر أبعاد رحلته إلى إشبيلية، وصلاته بشعراء عصره وذوي الجاه والسّلطان. ثمّ رسم شخصيّته من خلال أخباره وتحديد سنة وفاته .

وفي مرحلة ثانية أبرز أسباب إعادة جمع أشعار ابن وهبون بعد محاولة ابن بسّام التي لم تصلنا في كتابه (الإكليل) ، فأحصى عدد الأبيات المتحصّل عليها موزّعة على عدد قطعها. ثمّ سعى إلى بيان الملامح العريضة لمجموع أشعاره على مستوى المبنى والمعنى والأغراض، وتلمّس من خلال ذلك شاعريّة ابن وهبون ومواقفه وآراء القدامى والمحدثين في شعره.

وفي مرحلة ثالثة جمع الأشعار وحقّقها وأطلق عليها اسم المدوّنة.

البحث عدد 25

ــ الباحثة : السيّدة رشيدة بلحاج فرج .
ــ عنوان البحث : دور المرأة في الحياة الأدبيّة بالأندلس .
ــ نوعه : أدب ــ حضارة .
ــ الأستاذ المشرف : محمود طرشونة .
ــ تاريخ تقديم البحث : سبتمبر 1985 ، رقمه بمكتبة الكليّة (3384) .

التعريف بمحتوى البحث

بدأت الباحثة بذكر السّبب الذي جعلها تهتمّ بهذه الدّراسة حول دور المرأة في الحياة الأدبيّة بالأندلس ، فذكرت أنّ الإهمال الكليّ أو الجزئيّ من المؤلّفين القدامى والمحدّثين للمرأة الأندلسية رغم تحرّرها هو الذي دفعها للقيام بهذه الدّراسة.

وقد ركّزت عملها على نشاط المرأة الأندلسيّة بصفة عامّة وبكلّ ما كانت تقوم به في الميدان الأدبي ، وذلك اعتمادا على الأخبار المتفرّقة في المصادر. ثمّ قامت بتبويب الإنتاج الشّعري للأندلسيات حسب الأغراض والمحاور، وعلى تحليل النّصوص المتعلّقة بمساهمة المرأة في الحياة الأدبيّة والإنتاج الأدبي .

وقسمت بحثها إلى بابين :

1 ــ نظرت في الباب الأوّل في دور المرأة في الحياة الأدبيّة في عهدَيْ الإمارة والخلافة. وكان هذا الدّور محتشما نسبيًا لأنّ المرأة كانت حديثة عهد بالتحرّر والتثقّف والبحث عن شخصيتها، فكان دورها في الحياة الأدبيّة محدودا وإنتاجها ضئيلا.

2 ــ وخصّصت الباب الثّاني لدور المرأة في الحياة الأدبيّة بالأندلس منذ عهد ملوك الطّوائف إلى ظهور دولة بني الأحمر. وترى الباحثة أنّ إنتاج المرأة زاد في هذه الفترة، وظهرت جليّا مساهمتها في الحياة الأدبيّة تبعا للتطوّر الملحوظ الذي شهدته الأندلس والحركة العلميّة والأدبيّة التي قويت بمجيء ملوك الطّوائف .

غناء البعوض

قال السّميسر(1) :

[المتقارب]

بَعُــوضٌ جَعَلْــنَ دَمِــي قَهْــوَةً   وَغَنَّيْنَنِــي بِضُرُوبِ الْأَغَــانْ
كَأَنَّ عُرُوقِــي أَوْتَارُهَــا   وَجِسْمِي الرَّبَابُ وَهُنَّ الْقِيَانْ

ابن دحية: المطرب 93

(1) السّميسر : أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري : شاعر هجّاء أصله من إلبيرة وسكن غرناطة. توفّي 480 /1078. (الأعلام: 2 /358) .

غناء البعوض ورقص البراغيث

قال أبو الحسن الحصري(1) :

[المجتث]

ضاقَتْ بلنسيّــــة بي   وذاد عنّــي غُمُــوضِي(2)
رَقْصُ البراغــيث حولــي   علــى غنــاء البعُــوض

ابن دحية: المطرب 94

(1) أبو الحسن الحصري: شاعر من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس بعد الزّحف الهلالي ومات في طنجة 488 /1095 (الأعلام : 5 /114) .

(2) الغموض : الغمض أي النوم .

22°) Hammouda Ga'ayyib: Traduction à l'arabe d'une anthologie de la littérature Aljamiado-Morisque N° 1523.

23°) Fatima Assiddiq : La Conjonction entre les phrases dans le diwān d'Ibn Zaydūn N° 3380.

24°) Mubārik al-Khadrwī : Ibn Wahbūn : Sa vie et ce qui nous est parvenu de sa poésie. N° 3385.

25°) Rachida Belhadj Fraj: Le rôle de la femme dans la vie littéraire en Andalousie. N° 3384.

c) Moslem Spain (Al-Andalous) in University studies in Tunis (3nd part)

Cheikha Djomâa

21) Moncef ben Abdeljalil: Foundations of Law between Ibn Ḥazm and al 'Āmidī based on Kitab «Al-Iḥkām fi 'usūl al-'Aḥkām» N° 3218.

22) Hammouda Ga'ayyib: Arabization of samples of «al-Jamiado -Morisco» literature from Spanish; N° 1523.

23) Fatima Assiddiq: Sentence conjontions in the Zaydūn's Diwān. N° 3380.

24) Moubarik al-Khadrāwi: Ibn Wahbūn: his life and remains of his poetry. N° 3385.

25) Rachida Belhadj Fraj: The rôle played by women in literary life in Andalousie. N° 3384.

****

****

Suile à la parution de l'édition critique du recueil de poèmes d'Ibn al-Djannān (le jardinier) al-Andalusi (7e/ 13e siècle) à Baghdad par le Dr. Munjid Mustapha Bahdjat, le professeur Habib Chébil - en présentant ce travail - estime que cette édition de caractère classique présente des insuffisances et mérite d'être revue selon les règles de la méthode critique moderne.

c) **Review of the edition of Ibn al-Jannan's Diwan.**

Habib Chebil

After the publication of the critical edition of the Collected Poems of Ibn al-Jannan (The gardener) al-Andalusi (7th/ 13th c.) in Baghdad by Dr Mungid Mustapha Bahdjat, Pr. Habib Chebil, reviewing this work, thinks that his edition, classical in nature, is not exempt from shortcomings and deserves to be revised according to the rules of modern critical approaches.

VI

a)

La España Musulmana (Al-Andalus) en los estudios universitarios de Túnez (Tercera parte)

Cheikha Djomaâ

21) Moncef Ben Abdelǧalil: Los fundamentos del derecho entre Ibn Hazm y al 'Amidī a través de «Kitāb al 'Ihkām fi 'usūl al-'ahkām» (Libro de maestría de los fundamentos del derecho) N° 3218.

22) Hammouda Ga'ayyib: Traducción al árabe de una antología de la litertura aljamiado morisca. N° 1523.

23) Fatima Assiddiq: El lazo entre las frases en el diván de Ibn Zaydún. N° 3380.

24) Mubārik al-Khadrāwī: Ibn Wahbūn: su vida y lo que nos queda de su poesía. N° 3385.

25) Rašida Belhaǧ Fraǧ: El papel de la mujer en la vida literaria de Al-Andalus.

b)

L'Espagne Musulmane (Al-Andalus) dans les études universitaires à Tunis (3ème partie)

Cheika Djomâa

21[) Moncef Ben ʿAbdeljalil: Les fondements du droit entre Ibn Ḥazm et al 'Amidī à travers Kitàb «al 'Iḥkām Fi 'usūl al-'Aḥkām N° 3218.

b)

Poèmes inédis

Houcine YACOUBI

Ce sont des poèmes adressés par les andalous ménacés par l'intensité de la Reconquista, aux souverains musulmans afin de venir à leur secours. Certains répondent à l'appel de la guerre sainte et envoient des troupes et des secours. D'autres se contentent d'adresser leurs encouragements et leur soutien moral aux combattants d'Andalous.

Le poème qu'on public pour la première fois traduit la manière de solliciter cette assistance et décrit le sort malheureux des Andalous après la prise de Jaèn en 644/ 1246.

c)

Unpublished Poems

Houcine Yacoubi

These are poems addressed by the Andalusians threatened by the intensity of the Reconquista to the Moslem sovereigns and calling for their help.

Some of them, heeding the call of Holy War, did send relief forces and other forms of assistance.

Others did no thing beyond addressing encouragement and moral support to the Andalousian fighters.

The poem that we publish for the first time is an expression of the way that form of assistance was sought and describes the predicament of the Andalusians after the taking of Jaen in 644/ 1246.

V

a)

Presentación de la edición del Diván de Ibn al-Djannān

Habib CHEBIL

La publicación de la edición crítica del libro de poemas de Ibn al Djannān al-Andalusí (7e/ 13 S.) en Bagdad, del Dr Mungid Mustafá Bahgat, ha sido presentada por el profeser Habib Chebil, el cual piensa que esta edición de carácter clásico tiene lagunas y merece ser revisada conforme a las reglas del método crítico moderno.

b)

Présentation de l'édition du Diwān d'Ibn al-Djannān

Habib CHEBIL

Al recurrir a otras fuentes de la poesía andalusí, el profesor Abdelaziz as-Saourī ha recopilado poemas omitidos en la edición anteriormente mencionada. Los ha definido, clasificado y comentado, aportando así un complemento notorio al esfuerzo de la profesora Manāzil.

b) Supplément à la poésie de Abu 'Abdallah Ibn al-Ḥaddād

Abdelaziz as-Saourī

Le Professeur Manāl Manāzil a rassemblé, établi et introduit l'œuvre poétique de Abu 'Abdallah Muḥammad Ibn al-Ḥaddād al-Wādī 'Āšī (m. 480/ 1087). Elle a édité son travail à Beyrouth en 1985.

Le Professeur Abdalaziz as-Saourī, ayant recouru à d'autres sources de la poésie andalouse, a rassemblé des poèmes omis dans l'édition sus-mentionnée. Il les a définie, classés et commentés, apportant ainsi un complément de valeur à l'éffort du Professeur Manāzil.

c) Supplement to the poetry of 'Abū 'Abdallah Ibn Al-Ḥaddād

Abdelaziz as-Saouri

Professeur Manāl Manāzil has gathered, established and introduced the poetic work of Abu 'Abdallah Muhammad Ibn al-Ḥaddād al-wādī 'Āšī (m. 480/ 1087). She edited his work in Beyrout in 1985.

Professeur 'Abdelaziz as-Saouri, after consulting other sources of Andalusian poetry, has gathered poems amitted in the above mentioned edition. He classified, defined and commented them. Thus he added a valuable complement to the effort of Professor Manāzil.

IV

a) Poemas inéditos

Houcine YACOUBI

Son poemas dirigidos por los andalusíes amenazados por la intensidad de la Reconquista, a los soberanos musulmanes de los que solicitan su auxilio.

Algunos contestan a la llamada de la guerra santa y mandan tropas y ayudas.

Otros se contentan con dirigir y animar a los combatientes andalusíes dirigiéndoles su sostén moral.

Este poema que se publica por primera vez traduce las ansias de asistencia y la suerte infeliz de los andalusíes desqués de la toma de Jaén en 644/ 1246.

Enfin, se sentant au bord du désespoir, le poète nous a décrit les dernières batailles et relaté la chute, l'une après l'autre, des dernières marches frontières et forteresses musulmanes.

La série noire sur laquelle nous nous attarderons commence par la chute d'Archidona en 835/1431, et se termine par celle de Vélez-Rubio en 840/1437, en passant par la bataille de Lorca en 856/1452, par la chute de bastillo de Alicun en 836/1433 et par la chute à la même date de Gibraltar.

c) Foreboding of the end of al-Andalous in El-Kaysi's poetry

Hasna Trabelsi Bouzouita

This article will show, by analysing El Kaysi's poetry, how this last great Andalusian poet-who probably lived until after 890H./1489 A.D. experienced the last moments of Arab-Muslim presence in El Andalous. His poetry forebodes the end of El Andalous which occurred in 897H/1497 A.D. with the defeat of the Nassirides and the fall of Cortuba.

The poet complains first of the prevailing social situation which he sadly depicts: Islamic precepts badly applied, flouted moral values, decaying institutions, corrupted responsibles, widespread injustice...

But the poet depicts most of all the feeling of insecurity experienced by the Arab-Muslim population attacked by christians. In other poems, scenes of chaos and alarm utterances are found. It is not only the individual's identity which is threatened but also that of the motherland. Thus, the tragedy depicted by al-Kaysi has a cosmographic dimension.

With a feeling of hopelessness, the poet relates the last battles and the successive fall of Muslim frontiers and forteresses.

The balck series starts with the fall avec Archidoura in 835 H./1431 A.D. and ends with the fall of Velez Rubio in 840 H./1437 A.D. the battle of Lorca and the fall of bastilla de Alicun in 836 H./1433 A.D. are also depicted.

III

a) Más sobre la poesía de 'Abū 'Abdallah Ibn al-Haddād

Abdelaziz as-Saouñ

La Profesora Manāl Manāzil ha reunido, establecido e introducido el poemario de Abu 'Abdallah Muhammad Ibn al-Haddād al-wādī-'Āšī (m. 480/1087). Ha editado su obra en Beirút, en 1985.

El propósito de este artículo consiste en demostrar cómo el último gran poeta andalusí ᶜAbd-Al-Karīm Al-Qaysí vivió los últimos āños de la presencia arabo-musulmana en la Península Ibéria presintiendo el fin de Al-Abdalus, fin que realmente no se consumó antes del año 897/ 1492.

Lo primero que denunció el poeta fue la situación social imperante en aquel entonces de la cual nos bosquejó un cuadro tan triste como sombrìo y conmovedor: preceptos islámicos incumplidos, valores morales escarnecidos, instituciones podridas, responsables corruptos, injusticia genaralizada, etc, etc.

Pero fue al sentimiento de inseguridad, que se apoderaba de la población arabo-musulmana debido a los ataques de los cristianos, que consagró más poemas o pasajes en los que describía escenas de desconcierto, pedía auxilio y daba la alarma ya que la amenaza se cernía no sólo sobre la identidad de las personas sino también sobre la de la patria; El poeta atribuyó a esta tragedia una magnitud cosmográfica.

Por último, Al-Qaysī, ya casi desesperado, nos describió las últimas batallas y refirió la caída de las últimas provincias fronterizas y fortalezas musulmanas.

Esta serie negra a la que otorgames mucha atención en nuestro artículo empieza con la caído de Archidona en 835/ 1431, y termina con la de Vélez-Rubio en 840/ 1437, pasando por la de Lorca en 856/ 1452, por la caída de Bastillo de Alicún, y la de Gibraltar, ambas en 836/ 1433.

b)

Le préssentiment de la fin de l'Andalousie dans la poésie d'al-Qaysī

Hasna Trabelsi Bouzouita

Nous nous proposons dans cet article de montrer, en analysant sa péosie, comment al-Qaysī, dernier grand poète andalou, a vécu les derniers moments de la présence arabo-musulmane dans la péninsule Ibérique, témoignant par là la fin de l'Andalousie, fin qui ne s'était réalisée en fait qu'en 897/ 1492, date de la défaite des Nasrides et de la chute de Grenade.

Le poète s'est plaint, tout d'abord, de la situation sociale qui prévalait et dont il nous a adressé un tableau aussi triste que sombre et touchant: préceptes islamiques mal appliqués, valeurs morales bafoués, institutions pourries, responsables corrompus, injustice répandue...

Mais, c'est sur le sentiment d'insécurité qui gagnait la population arabo-musulmane, attaquée par les chrétiens, qu'il s'est, le plus, attardé pour peindre ensuite dans différents poèmes ou passages, des scènes de désarroi, lancé des cris de detresse et tiré la sonnette d'alarme. Car, en plus de l'identité des personnes, c'est l'entité de la patrie même que se trouve menacée. Aussi, la tragédie décrite par al-Qaysī prend-elle une dimension cosmographique.

Cette étude comprend: une introduction et cinq parties. Dans la première partie, l'auteur nous présente une biographie succinte des deux hommes. Dans la deuxième, il parle de la théorie d'Ibn Ḥazm, et dans la troisième de son application. Il consacre la quatrième partie à la théorie d'Ibn Bassām. Quand à la cinquième, où il expose son application, il la divise en paragraphes: La tendance impressionniste, rhétorique, éthique, dialectique, son point de vue vis-à-vis du plagiat et du problème classique de la «forme» et du «contenu».

c) **The Criticism Of Poetic Text In Ibn Ḥazm and Ibn Bassām the Andalusians**

Munjid Mustapha Bahjet

The critics Ibn Ḥazm (d. 456/1064) and Ibn Bassām (d. 542/1147) both represent one age. It is an age of cultural ans literary maturity. Their critical views reflect an image of the fifth century. Both of them shared in the defence of the heritage of Andalus, and they had a similar ethical approach in criticising poetry. Yet their applied critical opinions differed greatly when getting into details as this paper attempts to show.

The applied part in Ibn Ḥazm is surpassed by that of Ibn Bassām, because of the former's engagement in other logical pursuits.

The body ot the paper consists of an introduction and five parts. The first part talks about their lives and biographies. The second part discusses Ibn Ḥazm's theory of criticism, while his approach in applied criticism makes the third part. Ibn Bassām's theory of cirticism is contained in the fourth paragraph, while his approach to applied criticism makes the fifth part. The seven sections that make the fifth part discuss the cirtic's impressionistic, rhetorical, ethical, and explanatory views, in addition to his (that is, Ibn Bassam's) views on plagarism and the problem of form and content.

The paper has drawn on the two critics' own critical views as well as on the studies made about them making about thirty references in all.

II

a) **El presentimiento del fin de Al-Andalus en la poesía de Al-Qaysī**

Hasna Trabelsi Bouzouita

Les Résumés

I

a) **La crítica de la poesía en dos hombres de letras andalusíes: Ibn Ḥazm e Ibn Bassām**

Munǧid Mustapha Bahǧet

Los dos críticos, Ibn Ḥazm (m. 456/ 1064) e Ibn Bassām (m. 542/ 1147) representan la misma época, la de la madurez cultural y literaria; sus ideas nos dan una imagen del siglo V/ XI. Ambos defendieron el patrimonio andalusí. Ambos adoptaron un criterio moral para juzgar la poesía. Pero la aplicación de la teoría ha desembocado en diferencias en ciertos detalles, diferencias que ilustra el presente ensayo. La aplicación, en Ibn Bassām, más diversificada, implica más ejemplos ilustrativos, dado que Ibn Ḥazm trató al mismo tiempo otras ramas del conocimiento y del saber.

Este ensayo abarca una introducción y cinco partes. En la primera parte, el autor nos presenta una biografía sucinta de los dos críticos. En la segunda, nos habla de la teoría de Ibn Ḥazm, y en la tercera de su aplicación. Consagra la cuarta parte a la teoría de Ibn Bassām y la quinta a su aplicación que va dividiendo en párrafos: la tendencia impresionista, retórica, ética, dialéctica, su punto de vista referente al plagio y al problema clásico de la «forma» y del «contenido».

b) **La critique de la poésie chez deux hommes de lettres andalous: Ibn Ḥazm et Ibn Bassām**

Munjid Mustapha Bahjet

Les deux critiques, Ibn Ḥazm (m. 456/ 1064) et Ibn Bassam (m. 542/ 1147) représentent une même époque, celle de la maturité culturelle et littéraire; les idées qu'ils ont exprimées nous donnent une image du 5e/ 11e siècle. Tous les deux ont pris la défense du patrimoine andalous. Tous les deux ont adopté pour juger la poésie un critère moral. Mais l'application de la théorie a conduit à des différences dans les détails différences illustrées par la présente étude. Le coté application, chez Ibn Bassām, est mieux fourni en exemples et plus diversifié, étant donné qu'Ibn Ḥazm a traité en même temps d'autres branches de la connaissance et du savoir.

Con esta moral y con estos principos vamos a participar a la exposiciòn universal de Sevilla 92. Ademàs, la revista «Dirasät Andalusiyya» («Estudios Andalusíes») tiene el afán de concertar dichos principios proponiendo a las instituciones concernidas el proyecto de publicar un número especial sobre dos temas principales:

— La tolerancia religiosa andalusí a travès de los siglos.

— Aspectos del esplendor civilizacional arabo-musulmán en la Península Ibérica y su aporte a la civilización universal.

Seguimos proponiendo proyectos y comunicando nuestro anhelo de entablar una cooperación fructífera y honesta, convencidos en ello de que «nuestra proyección cultural queda tributaria por una parte de nuestra capacidad de forjar una cultura nacional original que estribe en nuestros fundamentos arabo-musulmanes y asegure las condiciones propicias a nuestra presencia entre las culturas y por la otra, de las vías de cooperación que difinimos, para intensificar el diálogo cultural entre las naciones...» (Discurso del Presidente Ben Ali con motivo del Día de la Cultura el 28 de octubre de 1990).

Dr. Jomaa Chikha

PRESENTACIÓN

Durante este mes se celebrarán sobre Al-Andalus tres coloquios: el primero tendrá lugar Damasco (Siria) ; el segundo en Tetuán (Marruecos) y el tercero en San Carlos de la Rabita (España). Si los dos primeros coloquios estriban en algunos aspectos del aporte intelectual y civilizacional de Al-Andalus, el tercero ha sido consagrado a la cuestión morisca, es decir, a los últimos musulmanes de España que vivieron bajo dominación cristiana después de la caída de Granada, último bastión árabe en la península, en 897/ 1492.

Así, en 1992, habrán pasado quinientos años desde la caída de aquella gran ciudad islámica. Los españoles conmemrarán este acontecimiento que coincide con el descubrimiento de América por Cristóbal Colón. Por ello, no han esperado esta cita, sino tomaron la iniciativa de celebrar ya algunos coloquios en preparación de la exposición universal de Sevilla 1992 cuyo lema será «Conmemoración del quinto centenario del descubrimiento de América por Cristóbal Colón». Han querido con dicho lema evitar la susceptibilidad de los árabes y de los musulmanes en estas circunstancias dificilísimas ?

España no es la única en heredar de la civilización andalusí. Entre los países árabes Túnez ocupa también un rango de relieve en este campo. En efecto. Tùnez acogiò desde siglos y con mucha hospitalidad a los moricos desterrados integrándolos dentro de su población, permitiendo así a un pueblo condenado a la aniquilación física, espiritual y civilizacional sobreivivir salvaguardando su patrimonio y ofreciéndole las condiciones propicias a su inventiva y creadividad en actividades tan varias como la artística, arquitectónica e intelectual. La España cristiana potencia mediterránea de aquel entonces, no nos perdonó esta osadía ni el desafío que le habíamos lanzado.

Aquellos valores del ayer pujante, siguen nutriendo nuestros principios de hoy en día. Seguimos amparando a los sinistrados, a los amenazados y humillados. Seguimos diciendo la verdad venga lo que viniere, sin cálculo alguno a corto plazo o a largo plazo sea cual fuere el perjuicio que sufrimos. Porque éstos quedan a pesar de todo los principios y fundemantos de nuestra moral inmutable.